كتاب المنثورات والمُلَح

١٨٠٨ - عن النَّواس بْنِ سَمْعَان رضي الله عنه قَالَ: ذَكَرَ رَسُولُ الله ﷺ الدَّجَّالَ ذاتَ غداةٍ، فخفَّضَ فِيه، ورفَّع حَتَّى ظننَّاه في طَائِفة النَّخْلِ، فلمَّا رُحْنَا إِلَيْهِ عرفَ ذَلِكَ فِينَا، فَقَالَ: "مَا شَأْنُكُمْ؟" قُلنا: يَا رَسُولَ الله ذَكرتَ الدّجّالَ الغَدَاةَ، فخَفَّضتَ فيه ورفَّعْتَ، حَتَّى ظننَّاهُ فِي طَائِفَةَ النَّخْلِ فَقَال:"غيرُ الدَّجَّال أَخْوَفني عَلَيْكُمْ أن يَخْرجْ وَأَنا فِيْكُمْ، فَأَنَا حجيجُهُ دُونكم، وإن يَخرُجْ ولستُ فِيكم، فَامرؤٌ حجيجُ نَفْسِه، واللهُ خَلِيفَتي عَلَى كُلِّ مُسْلِم إِنَّه شابٌّ قَطَطٌ، عينُهُ طافيةٌ، كأَنِّي أُشبِّهُهُ بِعَبْدِ العُزَّى بْنِ قَطَنٍ، فَمَنْ أَدْرَكَهُ مِنكُمْ، فَلْيَقرَأْ عَلَيْهِ فَوَاتِحَ سُورَةِ الْكَهْفِ، إِنَّه خَارِجٌ خَلَّةً بَيْنَ الشَّامِ والْعِرَاقِ، فَعَاثَ يَمينًا وَعَاثَ شِمالاً، يَا عِبادَ الله فاثْبُتُوا".

قُلْنَا: يَا رَسُولَ الله وَمَا لُبْثُهُ فِي الْأَرْضِ؟ قَالَ: أَرْبَعُونَ يَوْمًا: يَوْمٌ كَسَنَةٍ، وَيَومٌ كشَهْرٍ، ويومٌ كجُمُعَةٍ، وسائرُ أيامِهِ كأَيَّامِكُمْ"

قُلْنَا: يَا رَسُولَ الله، فَذَلِكَ اليَوْمُ الَّذِي كَسَنَةٍ أَتكْفِينا فِيه صَلاةُ يومٍ؟ قَالَ: لَا اقْدُرُوا لَهُ قَدْرَهُ"

قُلنَا: يَا رَسُولَ الله وَمَا إِسْرَاعُهُ فِي الأَرْضِ؟ قَالَ: "كَالْغَيْثِ اسْتَدْبَرَتْهُ الرِّيحُ، فَيَأَتِي عَلَى الْقَوْمِ، فَيَدْعُوهُمْ، فَيُؤْمِنُونَ بِه، وَيَسْتَجِيبُونَ لَهُ فيأمُرُ السَّماءَ فتُمْطِرُ، والْأَرْضَ فَتُنْبِتُ، فترُوحُ عَلَيْهِم سَارِحَتُهُمْ أَطْوَلَ مَا كَانَتْ ذُرىً، وَأَسْبَغَهُ ضُرُوعًا، وَأَمَدَّهُ خَوَاصِرَ، ثُمَّ يَأْتِي الْقَوْمُ فَيَدْعُوهُمْ،

فَيَرُدُّونَ عَلَيْه قَوْلَه، فَيَنْصَرِفُ عَنْهُمْ، فَيُصْبِحُونَ مُمحلين ليس بأيديهم شيء من أموالهم، ويمر بالخربة فيقول لها: أخرجي كنوزك، فتتبعه كُنُوزها كَيَعَاسِيبِ النَّحْلِ، ثُمَّ يَدْعُو رَجُلاً مُمْتَلِئًا شَبَابًا فَيَضرِبُه بالسَّيفِ، فَيَقْطَعه جَزْلَتَيْنِ رَمْيَةَ الغَرَضِ، ثُمَّ يَدْعُوهُ، فيُقْبِلُ، وَيَتَهلَّلُ وَجْهُه يَضْحَكُ.

فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللهُ تَعَالَى الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ ﷺ فَيَنْزِلُ عِنْدَ الـمَنارَةِ الْبَيْضَاءِ شَرْقِيَّ دِمَشْقَ بَيْنَ مَهْرُودَتَيْنِ، وَاضِعًا كَفَّيهِ عَلَى أَجْنِحَةِ مَلَكَيْنِ، إِذَا طَأْطَأَ رَأْسَهُ، قَطَرَ، وَإِذَا رَفَعهُ تَحَدَّر مِنْهُ جُمَانٌ كاللُّؤلُؤِ، فَلَا يَحِلُّ لِكَافِرٍ يَجِدُ رِيحَ نَفَسِه إلاَّ مَاتَ، وَنَفَسُهُ يَنْتَهِي إِلى حَيْثُ يَنْتَهِي طَرَفُهُ، فَيَطْلُبُهُ حَتَّى يُدْرِكَهُ بِبَابِ لُدٍّ فيقتُلُهُ.

ثُمَّ يَأْتِي عِيسَى ﷺ قَوْمًا قدْ عَصَمَهُمُ اللهُ مِنْهُ، فَيَمْسَحُ عَنْ وُجُوهِهِمْ، وَيُحَدِّثُهُم بِدَرَجَاتِهِمْ فِي الجَنَّةِ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ أَوْحَى اللهُ تَعَالَى إِلَى عِيسَى ﷺ إِنِّي قَدْ أَخْرَجْتُ عِبَادًا لِي لَا يَدَانِ لِأَحَدٍ بِقِتَالِهِمْ، فَحَرِّزْ عِبَادِي إِلَى الطُّورِ. وَيَبْعَثُ اللهُ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجَ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ، فَيَمُرُّ أَوَائِلُهُمْ عَلى بُحَيْرَةِ طَبَرِيَّةَ فَيَشْرَبُونَ مَا فِيهَا، وَيَمُرُّ آخرُهُمْ فَيَقُولُونَ: لَقَدْ كَانَ بِهَذِهِ مَرَّةً ماءٌ.

وَيُحْصَر نبيُّ اللهِ عِيسَى ﷺ وَأَصْحَابُه حَتَّى يَكُونَ رَأْسُ الثَّورِ لِأَحَدِهِمْ خَيْرًا مِنْ مِائَةِ دِينَارٍ لِأَحدِكُم اليَوْمَ، فَيَرْغَبُ نبيُّ اللهِ عِيسَى ﷺ وَأَصْحَابُه رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ إِلى اللهِ تَعَالَى، فَيُرْسِلُ اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِمُ النَّغَفَ فِي رِقَابِهِمْ، فَيُصْبِحُونَ فَرْسَى كَمَوْتِ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ يَهْبِطُ نبيُّ اللهِ عِيسَى ﷺ

وَأَصْحَابُهُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، إِلَى الْأَرْضِ، فَلَا يَجِدُونَ فِي الْأَرْضِ مَوْضِعَ شِبْرٍ إلا مَلأَهُ زَهمُهُمْ ونَتَنُهُمْ، فَيَرْغَبُ نبيُّ الله عِيسَى ﷺ وَأَصْحَابُه رَضِي اللهُ عَنْهُمْ إِلَى اللهِ تَعَالَى، فَيُرْسِلُ اللهُ تَعَالَى طَيْرًا كَأَعْنَاقِ البُخْتِ، فَتَحْمِلُهُمْ، فَتَطْرَحُهُم حَيْثُ شَاءَ اللهُ، ثُمَّ يُرْسِلُ اللهُ عزَّ وجلَّ مَطَرًا لَا يُكِنُّ مِنْهُ بَيْتُ مَدَرٍ ولا وَبَرٍ، فَيَغْسِلُ الْأَرْضَ حَتّى يَتْرُكَهَا كَالزَّلَقَةِ.

ثُمَّ يُقَالُ لِلْأَرْضِ: أَنْبِتِي ثَمَرَتَك، وَرُدِّي بَرَكَتَكِ، فَيَوْمَئِذٍ تَأْكلُ العِصَابةُ مِنَ الرُّمانةِ، وَيَسْتَظِلُّونَ بقَحْفِها، وَيُبَارَكُ فِي الرِّسْلِ حَتَّى إِنَّ اللِّقحة مِنَ الْإِبْلِ لتكْفِي الفِئَامَ مِنَ النَّاسِ، واللِّقْحَةَ مِنَ البقَرِ لَتكْفِي القَبِيلةَ مِنَ النَّاسِ، واللِّقْحَةَ مِنَ الغَنَم لتكْفِي الفَخْذَ مِنَ النَّاسِ.

فَبَيْنَما هُمْ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللهُ تَعَالى رِيحًا طيِّبَةً، فَتَأْخُذُهُمْ تَحْتَ آباطِهِمْ، فتَقْبِضُ رُوحَ كُلِّ مُؤْمِنٍ وَكُلِّ مُسْلِمٍ، وَيَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ يَتَهَارَجُون فِيها تَهارُجَ الحُمُرِ فعَلَيْهِمْ تَقُومُ الساعة(١)" رواه مسلم.

قَوْله: "خَلَّةً بَيْنَ الشَّام وَالْعِرَاقِ" أي: طريقًا بينهُما. وقوله: "عَاثَ" بالعين المهملة والثاء المثلثة، والعيث: أشدُّ الفساد. "والذُّرَى" : بضم الذال المعجمة وهو أعالي الأسنمة. وهو جمع ذروة بضم الذال وكسرها "واليَعَاسِيبُ" : ذُكور النحل: "وجَزْلتين" أي: قطعتين، والغرض: الهدف الذي يُرمى إليه بالنشاب، أي: يرميه رميةً كرمي النشاب إلى الهدف. "والمَهْرُودَة" بالدال المهملة والمعجمة، وهي: الثوب المصبوغ. قوله: "لَا

(١) رواه مسلم: كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر الدجال وصفته وما معه، رقم(٥٢٢٨).

يَدَانِ" أي: لا طاقة. "والنَّغَف": دود. "وفَرْسَي": جمع فريس، وهو القتيل، "والزلقة" بفتح الزاي واللام وبالقاف، وروي "الزَّلَفة" بضم الزاي وإسكان اللام وبالفاء، وهي المرأة. "والعِصَابة": الجماعة، "والرِّسْل" بكسر الراء: اللبن، "واللَّقْحة": اللبون، "والْفِئَام" بكسر الفاء وبعدها همزة ممدودة: الجماعة. "والفخذ" من الناس: دون القبيلة.

الشــرح

قال المؤلف الحافظ النووي – رحمه الله- في ختام كتابه شرح رياض الصالحين كتاب المنثورات والمُلَح.

المنثورات: يعني أنها من أبواب متفرقة، وليست من باب واحد.

والملح: جمع ملحة وهي ما يستملح ويستعذب، ثم ذكر الباب الأول: باب الدجال وأشراط الساعة.

الدجال: مبالغة من الدجل وهو الكذب، والدجال: يعني كثير الكذب، الذي لا يتصف إلا بالكذب.

وأما أشراط الساعة: فهي علامات قربها كما قال الله تعالى: ﴿ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا ﴾ [محمد: ١٨]. يعني: علاماتها القريبة، ثم ذكر حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه الطويل وفيه أن النبي ﷺ ذكر الدجال ذات غداة يعني ذات صبح في يوم من الأيام فخفض فيه ورفع، يعني أنه تكلم بكلام طويل، حتى ظنوا أنه في طائفة

النخل يعني ظنوا أنه ذكر في المدينة وأنه قد جاء، وحضر ولكن الأمر لم يكن كذلك.

ثم إن النبي ﷺ عرف ذلك فيهم فسألهم فقالوا: إنك ذكرت الدجال الغداة وخفضت فيه ورفعت فظننا أنه في النخل. فقال: غير الدجال أخوفني عليكم يعني أخاف عليكم شيئًا أشد من الدجال، ومن ذلك الرياء حيث ثبت عنه ﷺ أنه قال: "أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر"، فسأل عنه فقال: "الرياء" أن الإنسان يرائي في عباداته: يصلي لأجل الناس، ويتصدق لأجل الناس، يحسن الخلق لأجل الناس.. فهذا رياء والعياذ بالله والمرائي حابط عمله، والرياء من صفات المنافقين كما قال الله تبارك وتعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ ﴾ [النساء: ١٤٢]. واعلم أيها المرائي أن الله سيفضحك عن قرب، لأن النبي ﷺ قال: "من راءى راءى الله به" يعني أظهر مراءاته وعيوبه عند الناس، و"من سمَّع سمَّع الله به"، ثم قال ﷺ: "إن يظهر وأنا فيكم فأنا حجيجه دونكم": يعني لو خرج الدجال وأنا موجود فأنا أكفيكم إياه، و"إن يخرج" يعني ولست فيكم "فامرؤ حجيج نفسه" يعني كل إنسان يحاج عن نفسه، "والله خليفتي على كل مؤمن" فاستخلف ربه عزَّ وجلَّ أن يكون مؤيدًا للمؤمنين واقيًا لهم من فتن الدجال الذي ليس بين خلق آدم وقيام الساعة فتنة أشد منها نسأل الله أن يقينا وإياكم فتنته. والله الموفق.

* * *

روى المؤلف - رحمه الله تعالى - عند سياق حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه قال عند سياق هذا الحديث في ذكر الدجال: "إنه شاب قطط عينه طافية": شاب من بني آدم، قطط: يعني مجتمع الخلق، عينه طافية: يعني أنه لا يبصر بها كأنها عنبة طافية كما قال النبي ﷺ فهو أعور خبيث، لكن الله عزَّ وجلَّ يرسله فتنة للناس فيأتي إليهم يدعوهم ويدَّعي أنه رب، وقد مكَّن الله له، فكان يأتي القوم يدعوهم فيؤمنون به ويستجيبون له، فيأمر السماء فتمطر والأرض فتنبت، يشاهدون ذلك بأعينهم، يقول: أيتها السماء: أمطري، فتمطر، أيتها الأرض أنبتي فتنبت، لكن ليس بقدرته وقوته بل بإرادة الله عزَّ وجلَّ لأن الله مكن له ابتلاءً وامتحانًا، "فيصبحون مخصبين تروح عليهم سارحتهم" يعني الغنم والإبل فيفتنون "أكثر ما يكون ضروعًا وأوفر ما تكون ذُرًى" يعني تمتلئ بطونها، وتمتلئ ضروعها، ويكون عليها الشحم، ويأتي القوم فيدعوهم فلا يستجيبون له ويردونه فينصرف، فيصبحون ممحلين ليس عندهم من أموالهم شيء، الأرض يبست والسماء لا تمطر والمال يموت، ولكن هؤلاء هم الذين لهم الأجر والثواب، وعاقبتهم حميدة، أما الأولون الذين آمنوا به وأمطرت السماء وأنبتت الأرض فهم خاسرون وإن ظنوا أنهم رابحون، ويأتي إلى أرض خربة ليس بها بناء وليس بها أناس فيقول: أيتها الأرض؛ أخرِجي كنوزك؛ فتخرج كنوزها وما بها من معادن: ذهبًا، وفضة وغير ذلك، فتتبعه كعياسيب النخل، ثم إنه يبقى في الأرض أربعين يومًا:

اليوم الأول طوله طول سنة (٣٦٠) يومًا والثاني مقداره شهر (٣٠) يومًا، والثالث مقداره جمعة يعني أسبوع، وباقي الأيام وهي سبعة وثلاثون

يومًا كالأيام المعتادة، ولكن الله عزَّ وجلَّ ألهم الصحابة - رضي الله عنهم - فقالوا: يا رسول الله هذا اليوم الذي كسنة تكفينا فيه صلاة واحدة؟

قال لهم: "لا، اقدروا له قدره" يعني صلوا صلاة السنة كاملة في يوم واحد، وهذا مما يطرح على الطلبة المبتدئين على هيئة ألغازٍ وأسئلة فيقال: إنسان وجب عليه صلاة سنة كاملة في يوم واحد، وأيضًا وجبت زكاة ماله في يوم واحد؟ يصوم رمضان بعض يوم يعني جزءاً من اثني عشر جزءاً من هذا اليوم؟ نقول: هذا يوم الدجال وسبحان الله الحكيم الذي أكمل لنا الدين قبل موت سيد المرسلين ﷺ ولله الحمد والمنة، أنطق الله الصحابة - رضي الله عنهم - أن يسألوا عن هذا اليوم: هل تكفي فيه صلاة واحدة أم لا؟ ولنا في هذا فائدة عظيمة.

حيث يوجد الآن في الأرض مَنْ يومُهم ستة أشهر، وليلُهم ستة أشهر، عند المدار القطبي ستة أشهر والشمس عليهم، وستة أشهر أخرى والشمس لا يرونها فهؤلاء يقدرون لها قدرها كيوم الدجال تمامًا.

واليوم الثاني من أيام الدجال كشهر ويكفيه من الصلاة صلاة شهر، واليوم الثالث يصلون صلاة أسبوع، واليوم الرابع وما بقي كسائر الأيام.

ثم سأل الصحابة عن سيره في الأرض: هل هو كالسير المعتاد كسير الإبل أو سير الأرجل؟ قال: يسير كالغيث إذا سيرته الريح والله أعلم عن كيف كان إشراعه هل يحدث الله له آلات كالطائرات ـ مثلاً ـ أو غيره؟ لا ندري هذا الذي أخبر به النبي ﷺ أنه يكون كالغيث - أي المطر -.

ثم ذكر من فتنته ـ نعوذ بالله منها ـ أنه يأتيه شاب ممتلئ شبابًا من

المسلمين فيقول له: أشهد أنك الدجال الذي أخبرنا عنه النبي ﷺ، فيقطعه نصفين بالسيف، واحدة بعيدة عن الأخرى، ثم يدعوه بعد أن قطعه – يا فلان فيجتمع النصفان ببعضهم البعض ويقوم ويقبل على الدجال يتهلّل وجهه كأنه لم يفعل شيئًا، ثم يقول له: والله أشهد أنك أنت المسيح الدجال، والله ما ازددت فيك إلا بصيرة فيقتله للمرة الثانية ويقطعه نصفين ثم يدعوه فيأتي ووجهه يتهلل، ثم يأتي ليقتله الثالثة فيعجز أن يقتله، كل هذا من فتنة الدجال، والإنسان إذا رأى هذا يغتر بلا شك، ثم إن الله تعالى ينزل عيسى بن مريم رسول الله عليه السلام ينزل يداه على أجنحة ملكين – لأن الملائكة أولو أجنحة – ينزلان من السماء، لأن عيسى الآن حي في السماء، ينزل عند قيام الساعة ليقتل الدجال، وكأنه والله أعلم قد اغتسل بماء طيب، إذا طأطأ رأسه قطر ماء، وإذا رفعه تحدر منه مثل الجمان، ويحتمل أن هذا ماء ويحتمل أنه عرق والله أعلم.

ثم إنه يطلب الدجال الخبيث الماكر الأعور فلا يحل لكافر يجد ريح نَفَس عيسى إلا مات – سبحان الله – ونَفَسه ينتهي حيث ينتهي طرفه، وهذا أيضًا من آيات الله، يعني أنفاسنا نحن لا تعدو إلا شبرًا أو نحوه، لكن نَفَسَ عيسى ينتهي حيث ينتهي طرفه، ومعنى ذلك أنه يقتل أناسًا كثيرين من الكفار، لأن هذا النفس يطير في الهواء، ولا يحل لكافر يجد نَفَسه إلا مات، وينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق هكذا وصفه النبي ﷺ وهي لابد أن توجد عند نزوله، فيبلغ الدجال فيطلبه فيدركه عند باب لد وهي الآن بفلسطين احتلها اليهود عليهم لعائن الله إلى يوم القيامة، فيدرك عيسى

المسيح الدجال فيقتله هناك، وبهذا انتهى المسيح الدجال، وبقي المسيح عيسى عليه السلام. والله الموفق.

* * *

ثم يأتي عيسى بن مريم قومًا قد عصمهم الله – عزَّ وجلَّ – من فتنة الدجال، فيمسح على وجوههم ويبشرهم بمنازلهم في الجنة، فبينما هم كذلك – يعني على الحال التي هم عليها إذ أوحى الله عزَّ وجلَّ إلى عيسى أني قد أخرجت عبادًا لي لا قدرة لأحد بقتالهم، وهؤلاء العباد ليسوا عبَّاد دِينٍ، بل هم عباد قدر. ﴿إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَـٰنِ عَبْدًا﴾ [مريم: ٩٣]. هؤلاء العباد هم يأجوج ومأجوج من كل حدب ينسلون أي من كل مكان مرتفع ينسلون لأن الشعاب والأودية لا تسعهم فتجدهم يصعدون الجبال لينزلوا إلى الأرض من كثرتهم، وهؤلاء من بني آدم وليسوا جنًّا ولا صنفًا ثالثًا بل هم من بني آدم، ودليل ذلك أن النبي ﷺ قال: "إن الله تعالى يقول يوم القيامة: يا آدم. فيقول لبيك وسعديك، فيقول الله له: أخرج من ذريتك بعثًا إلى النار أو قال بعث النار قال: يا رب وما بعث النار؟ قال: من كل ألف تسعمائة وتسعًا وتسعين من بني آدم" كل هؤلاء في النار إلا واحدًا في الألف في بني آدم من أهل الجنة – فكبُر ذلك على الصحابة وعظم عليهم، وقالوا: يا رسول الله أينا ذلك الواحد؟ قال لهم ﷺ: "أبشروا؟ فإنكم في أمتين ما كانتا في شيء إلا كثرتاه: يأجوج ومأجوج، منكم واحد ومنهم ألف". فاستبشر الصحابة رضي الله عنهم بذلك ثم قال: "إني لأرجو أن تكونوا ربع

أهل الجنة" فكبر الصحابة فرحًا بنعمة الله - عزَّ وجلَّ - ثم قال: "أرجو أن تكونوا شطر أهل الجنة" فكبروا وفرحوا، ثم قال: "أرجو أن تكونوا ثلثي أهل الجنة(١)" وهذه الثالثة عندي فيها شك، لكن قد ورد عن النبي ﷺ "أن أهل الجنة مائة وعشرون صنفًا منهم ثمانون من هذه الأمة".

فيأجوج ومأجوج من بني آدم، وشكلهم شكل بني آدم لا يختلفون عنهم، أما ما ورد في بعض الآثار أن منهم القصير المفرط في القصر، والطويل المفرط في الطول، وأن بعضهم يفترش إحدى أذنيه ويلتحف بالأخرى كل هذا لا صحة له، فهم من بني آدم ومثلهم، لكنهم أمم عظيمة كما قال تعالى: ﴿وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٦]. أي من كل مرتفع، لأن الأرض السهلة لا تسعهم من كثرتهم، "ينسلون" أي يسرعون كأنهم مسلطون على بني آدم، فيقول الله عزَّ وجلَّ لعيسى: إني قد بعثت عبادًا لا يدان لأحد بقتالهم يعني ما لأحد على قتالهم من قوة فحرز عبادي إلى الطور يعني احترزوا فيه والطور جبل معروف، فيصعد عيسى عليه السلام ومن معه إلى الطور ويحصرون فيه حتى إنهم يلحقهم من الجوع وشدة المؤونة ما يكون رأس الثور أحب إلى أحدهم من كذا وكذا من الدنانير، وحينئذ يرغب عيسى وقومه إلى الله عزَّ وجلَّ ويدعونه أن يصرف عنهم هذه الأمم التي حاصرتهم في هذا الجبل، فيرسل الله تعالى النغف وهو عبارة عن دودة في أعناقهم فيصبحون فرسى - جمع فريسة - يعني موتى كنفس واحدة، كل

(١) رواه البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء، باب قصة يأجوج ومأجوج، رقم(٣٠٩٩)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب قوله يقول الله لآدم: أخرج بعث النار، رقم(٣٢٧).

هذه الأمم التي لا يحصيها إلا الله تموت في ليلة واحدة، لأن الأمر بيد الله عزَّ وجلَّ، فهذا النغف من حين أن يدخل في أعناقهم يموتون على الفور.

ثم ينزل عيسى بن مريم وقومه إلى الأرض وإذا الأرض مملوءة من هذه الجثث نتنًا ورائحة خبيثة، فيرغب عيسى وقومه إلى الله عزَّ وجلَّ أن ينقذهم من هذا، فيرسل الله تعالى طيورًا كبيرة قوية كأعناق البخت يعني مثل أعناق الإبل تأخذ الواحد منهم وتلقيه في البحر، ومعنى هذا أنها طيور عظيمة لا يعلمها إلا الله عزَّ وجلَّ كل هذا بقدرة الله سبحانه وتعالى، لأن أمره إذا أراد شيئًا أن يقول له: كن فيكون، فلا تستغرب ولا تَقُلْ: من أين جاءت الطيور وكيف توارت فالله على كل شيء قدر.

ولكن يبقى في الأرض شيء من القذر والأذى والرائحة بعد هذه الجثث فيرسل الله تعالى مطرًا عظيمًا يغسل الأرض لا يكن منه بيت مدر ولا وبر، كل الأرض تمتلئ ماءً حتى تكون كالزلقة تنظف تنظيفًا تامًّا بإذن الله عزَّ وجلَّ ويأمر الله الأرض أن تخرج بركاتها، وثمراتها فيكون فيها الثمرات العظيمة، والخير والبركة، حتى إن اللقحة من الإبل لتكفي فئامًا من الناس، اللقحة من البقر تكفي القبيلة من الناس، واللقحة من الغنم تكفي الفخذ من الناس وهي واحدة لكن الله ينزل فيها البركة فتكفي أممًا، وتكثر الخيرات والبركات وكل هذا يدل على عظمة وقدرة الله عزَّ وجلَّ ﴿ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴾ [الشرح: ٥ – ٦]. بدلاً من حصرتهم في الطور يتمنى الواحد منهم رأس ثور لا يجدون شيئًا إذا بالأرض تنبت وتتنزل فيها البركة والثمار.. وغير ذلك، كل هذا بأمر الله عزَّ وجلَّ. والله الموفق.

* * *

١٨٠٩ - وَعَنْ رِبْعِيِّ بْن حِرَاش قَالَ: انْطَلَقْتُ مَعَ أَبِي سُعُود الأَنْصَارِيّ إِلى حُذَيْفَةَ بْنِ اليَمانِ رَضِي اللهُ عَنْهُمْ فَقَالَ لَهُ أَبُو سعود، حَدِّثْني مَا سَمِعْتَ مِنْ رَسُولِ الله ﷺ فِي الدَّجَّال قَالَ: "إِنَّ الدَّجَّالَ يَخْرُجُ، وَإِنَّ ماءً ونارًا، فأَمَّا الّذِي يَرَاهُ النَّاسُ ماءً فنارٌ تُحْرِقُ، وأَمَّا الذي يَراهُ الناسُ نارًا، فماءٌ باردٌ عَذْبٌ، فَمَنْ أَدْرَكَهُ مِنْكُمْ، فلْيَقَعْ فِي الذِي يَرَاهُ نارًا، فإنَّهُ ماءٌ عَذْبٌ طَيِّبٌ" فَقَالَ أَبُو مَسْعُودٍ: وأنا قد سَمِعْتُهُ[1]. متفق عليه.

١٨١٠ - وَعَنْ عَبْدِ الله بْنِ عَمْرِو بْنِ العاص رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: "يَخْرُجُ الدَّجَّالُ فِي أُمَّتِي فَيَمْكُثُ أَرْبَعِينَ، لَا أَدْرِي أَرْبَعِينَ يَوْمًا أَوْ أَرْبَعِينَ شَهْرًا، أَوْ أَرْبَعِينَ عامًا، فَيَبْعَثُ اللهُ تَعالَى عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ﷺ فَيَطْلُبُهُ فَيُهْلِكُه، ثُمَّ يَمْكُثُ النَّاسُ سَبْعَ سِنِينَ لَيْسَ بَيْنَ اثْنَينِ عَداوةٌ، ثُمَّ يُرْسِلُ اللهُ عزَّ وَجلَّ، رِيحًا بَارِدةً مِنْ قِبَل الشَّام، فَلَا يَبْقَى عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ أَحَدٌ فِي قَلْبه مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ أَوْ إِيمَانٍ إِلَّا قَبَضَتْهُ، حتَّى لَوْ أنَّ أَحدكُمْ دَخَلَ فِي كَبِدِ جَبَلٍ، لَدَخلتْهُ عَلَيْهِ حَتَّى تَقْبِضَهُ، فَيَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ فِي خِفَّةِ الطَّيرِ، وَأَحْلَام السِّبَاعِ لَا يَعْرِفُون مَعْرُوفًا، وَلَا يُنْكِرُونَ مُنْكَرًا، فَيَتَمَثَّلُ لَـهُمُ الشَّيْطَانُ، فَيَقُولُ: أَلَا تَسْتَجِيبُونَ؟ فَيَقُولُون: فَمَا تأمُرُنَا؟ فَيَأْمُرُهُمْ بِعِبَادَةِ الْأَوْثَانِ، وَهُمْ فِي ذَلِكَ دَارٌّ رِزْقُهُمْ، حسنٌ عَيْشُهُمْ.

ثُمَّ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ، فَلَا يَسْمَعُهُ أَحَدٌ إِلَّا أَصْغَى لِيتًا وَرَفَع لِيتًا، وَأَوَّلُ

(١) رواه البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، رقم(٣١٩٤)، ومسلم: كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر الدجال وصفته وما معه، رقم(٥٢٢٥).

مَنْ يَسْمَعُهُ رَجُلٌ يَلُوطُ حَوْضَ إِبِلِهِ فَيُصْعَقُ وَيُصْعَقُ النَّاسُ، ثُمَّ يُرْسِلُ اللهُ – أَوْ قَالَ: يُنْزِلُ اللهُ – مَطَرًا كأَنَّهُ الطَّلُّ أَوِ الظِّلُّ، فَتُنْبُتُ مِنْهُ أَجْسَادُ النَّاسِ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِيه أُخْرَى فَإِذا هُم قِيامٌ يَنْظُرُونَ.

ثُمَّ يُقالُ: يَا أَيُّها النَّاسُ هَلُمَّ إِلى ربِّكُمْ، "وَقِفُوهُمْ إِنَّهم مَسْؤُولُونَ"، ثُمَّ يُقالُ: أَخْرِجُوا بَعْثَ النَّارِ فَيُقالُ: مِنْ كَمْ؟ فَيُقَالُ: مِنْ كُلِّ ألفٍ تِسْعمائةٍ وَتِسْعةً وَتِسْعِينَ، فَذَلِكَ يَوْمٌ يُجْعلُ الوِلْدَانَ شِيبًا، وَذَلِك يَوْمَ يُكشَفُ عَنْ ساقٍ[1]" رَوَاه مسلم.

"الليتُ" صفحة العنق، ومعناه: يضع صفحة عنقه ويرفع صفحته الأخرى.

١٨١١ – وَعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: "لَيْسَ مِنْ بَلَدٍ إِلَّا سَيطَؤُهُ الدَّجَّالُ، إِلَّا مَكَّةَ وَالمدِينَةَ، وَلَيْس نَقْبٌ مِنْ أَنْقَابِهَا إِلَّا عَلَيْهِ الملائِكَةُ صَافِّين تَحْرُسُهَا، فَيَنْزِلُ بالسَّبَخَةِ، فَتَرْجُفُ المدينةُ ثلاثَ رجفاتٍ، يُخرِجُ الله مَنْهَا كُلَّ كافرٍ ومنافقٍ[2]" رواه مسلم.

١٨١٢ – وَعَنْهُ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: "يَتْبعُ الدَّجَّالَ

---

(١) رواه مسلم: كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب في خروج الدجال ومكثه في الأرض ونزول عيسى، رقم(٥٢٣٣).

(٢) رواه مسلم: كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب قصة الجساسة، رقم(٥٢٣٦).

مِنْ يَهُودِ أَصْبَهَانَ سَبْعُونَ أَلفًا عَلَيْهِمُ الطَّيَالِسَةُ[١]" رواه مسلم.

١٨١٣ - وَعَنْ أُمِّ شُرَيْكٍ رَضِي اللهُ عَنْهَا أَنَّهَا سَمِعَتِ النبيَّ ﷺ يَقُولُ: "لَيفرَنَّ النَّاسُ مِنَ الدَّجَّالِ فِي الجِبَالِ[٢]" رواه مسلم.

١٨١٤ - وَعَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِي اللهُ عَنْهَا قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: "مَا بَيْنَ خَلْقِ آدمَ إِلى قِيَامِ السَّاعةِ أمرٌ أَكْبرُ مِنَ الدَّجَّالِ[٣]" رَوَاه مُسْلِم.

١٨١٥ - وَعَنْ أَبِي سَعِيدِ الخُدْرِي رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "يَخْرُجُ الدَّجَّالُ فَيَتَوَجَّهُ قِبَلَهُ رجُلٌ مِنَ المؤمِنِينَ فيتلَقَّاهُ المسالحُ: مسالِحُ الدَّجَّالِ، فَيَقُولُونَ لَهُ: إِلى أيْنَ تَعْمِدُ؟ فَيَقُولُ: أعْمِدُ إِلى هَذَا الّذِي خَرَجَ، فَيَقُولُونَ لَهُ: أَوَمَا تُؤمِنُ بربِّنَا؟ فَيَقُولُ: ما بِرَبِّنَا خَفَاءٌ فيقولُونَ: اقْتُلُوه، فَيَقولُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: أليسَ قدْ نَهَاكُمْ رَبُّكُمْ أنْ تَقْتُلُوا أحَدًا دونَه، فيَنْطَلِقُون به إلى الدَّجَّالِ، فإذا رآه المؤمنُ قال: يا أيُّها الناسُ إنَّ هذا الدَّجَّالُ الذي ذَكَرَ رَسُولُ الله ﷺ فيأمُرُ الدَّجَّالُ بِهِ فيشبَّحُ، فيقول: خُذُوهُ وشُجُّوهُ، فيوسعُ ظهرهُ وبَطْنُهُ ضرْبًا، فيقولُ: أوما تُؤمِنُ بي؟

فيقولُ: أنتَ المسيحُ الكَذَّاب! فيُنْشَرُ به، فيؤشَرُ بالمنشارِ من مفرقِهِ

---

(١) رواه مسلم: كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب في بقية من أحاديث الدجال، رقم(٥٢٣٧).

(٢) رواه مسلم: كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب في بقية من أحاديث الدجال، رقم(٥٢٣٨).

(٣) رواه مسلم: كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب في بقية من أحاديث الدجال، رقم(٥٢٣٩).

حتى يُفْرَقَ بينَ رِجْلَيْهِ، ثُمَّ يَمشي الدَّجَّالُ بين القِطْعَتَيْنِ، ثُمَّ يقول لَهُ: قُمْ، فيستوي قائمًا، ثُمَّ يقول لَهُ: أَتُؤمِنُ بي؟ فيقولُ: ما ازْدَدْتُ فيكَ إلا بصيرةً. ثُمَّ يقولُ: يا أَيُّها الناسُ إنَّهُ لا يُفْعَلُ بَعْدِي بأحدٍ مِنَ النَّاسِ، فَيَأْخُذُه الدَّجَّالُ ليذْبَحَهُ فَيَجْعَلُ اللهُ مَا بَيْنَ رَقَبَتِهِ إلى تَرْقُوتِهِ نُحَاسًا، فَلاَ يستطيع إليه سبيلاً، فيأْخُذُه بيديه ورجْلَيْهِ فيقذفُ به، فيحسبُ الناسُ أَنَّما قَذَفَهُ إلى النار، وإنَّما أُلْقِيَ في الجنَّة" فقال رَسُولُ الله ﷺ: "هَذَا أَعْظَمُ النَّاسِ شهادةً عِنْدَ رَبِّ العالمين[١]" رواه مسلم. وروى البخاري بعضه بمعناه: "المسالحُ" : هم الخفراء والطلائع.

١٨١٦ – وعَنِ المغيرةِ بْنِ شُعبَةَ رضي الله عنه قَالَ: مَا سَأَلَ أَحَدٌ رَسُولَ الله ﷺ عَنِ الدَّجَّالِ أَكْثَرَ مِمَّا سَأَلتُهُ، وإنَّهُ قَالَ لي: "ما يَضُرُّكَ؟" قُلْتُ: إنَّهُمْ يَقُولُونَ: إنَّ مَعَه جبَلَ خُبْزٍ وَنَهَرَ ماءٍ! قال: "هُوَ أَهْوَنُ عَلَى اللهِ مِنْ ذَلِكَ[٢]" متفق عليه.

١٨١٧ – وَعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: "مَا مِنْ نَبيٍّ إلّا وَقَدْ أَنْذَرَ أُمَّتَهُ الْأَعْوَرَ الكَذَّابَ، أَلا إنَّهُ أَعْوَرُ، وإنَّ رَبَّكُمْ عَزَّ وجَلَّ

---

(١) رواه البخاري: كتاب الحج، باب لا يدخل الدجال المدينة، رقم(١٧٤٩)، ومسلم: كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب في صفة الدجال وتحريم المدينة عليه، رقم(٥٢٣٠).

(٢) رواه البخاري: كتاب الفتن، باب ذكر الدجال، رقم(٦٥٨٩)، ومسلم: كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب في الدجال وهو أهون على الله عزَّ وجلَّ، رقم(٥٢٣٢).

لَيْسَ بأعْوَرَ، مكتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ ك ف ر[١]" مُتَّفَقٌ عليه.

١٨١٨ - وَعَنِ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: "أَلَا أُحَدِّثُكُمْ حَدِيثًا عَنِ الدَّجَّالِ مَا حدَّثَ به نَبِيٌّ قومَهُ! إنَّهُ أعورُ، وإنَّهُ يَجِيءُ مَعَهُ بِمِثَالِ الجنَّة والنَّارِ، فالَّتِي يَقُولُ: إنَّهَا الجنَّةُ هِيَ النَّارُ[٢]" متفق عليه.

١٨١٩ - وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ ذَكَرَ الدَّجَّالَ بَيْنَ ظَهْرَانِيِّ النَّاسِ فَقَالَ: "إنَّ اللهَ لَيْسَ بأعورَ، أَلاَ إنَّ المسِيحَ الدَّجَّالَ أَعْورُ العينِ اليُمْنَى، كَأَنَّ عَيْنَهُ عِنبَةٌ طافِيَةٌ[٣]" متفق عليه.

الشــرح

هذه الأحاديث الكثيرة التي ساقها المؤلف - رحمه الله تعالى - في بيان الدجال هي جديرة بأن تُسَاقَ وَتذكر، لأن النبي ﷺ يقول: "ما بين خلق آدم

---

(١) رواه البخاري: كتاب الفتن، باب ذكر الدجال، رقم(٦٥٩٨)، ومسلم: كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر الدجال وصفته وما معه، رقم(٥٢١٩).

(٢) رواه البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ ﴾، رقم(٣٠٩٠)، ومسلم: كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر الدجال وصفته وما معه، رقم(٥٢٢٧).

(٣) رواه البخاري: كتاب التوحيد، باب قول الله: ﴿ وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ﴾، رقم(٦٨٥٨)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب ذكر المسيح ابن مريم والمسيح الدجال، رقم(٢٤٧).

وقيام الساعة أمر أكبر من الدجال" ولذلك ما من نبي من الأنبياء إلا أنذر قومه له مع أنه لا يأتي إلا في آخر الزمان، والله عزَّ وجلَّ يعلم أن محمدًا خاتم الأنبياء ومع ذلك أنذر به الأنبياءُ السابقون، والحكمة من هذا التنويه بفتنته وبيانها وأنها عظيمة وإن كان لن يأتي إلا في آخر الدنيا ففتنته عظيمة.

وبين النبي ﷺ أن الدجال يدخل كل بلد يدعو الناس والعياذ بالله لعبادته، إلا مكة والمدينة فإنه لا يدخلهما، لأن عليهما الملائكة على كل باب منهما يذودون عنهما، وأخبر النبي ﷺ أنه يتبعه من يهود أصفهان سبعون ألفًا عليهم الطيالسة، وهو نوع رفيع من الثياب، والمعنى أنه يتبعه من أصفهان وهي معروفة من مدن إيران يتبعه منها سبعون ألفًا، وأخبر النبي ﷺ أنه أعور وأن الرب عزَّ وجلَّ ليس بأعور، لأن العور نقص والله عزَّ وجلَّ منزه عن كل نقص، واستدل أهل السنة والجماعة من هذا الحديث على أن ربنا جلَّ وعلا له، عينان لكنهما لا تشبهان أعين المخلوقين، لقوله تعالى: ﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

وذكر أيضًا في هذه الأحاديث أن رجلاً شابًّا مسلمًا يخرج إذا سمع به لينظره ليبين للناس كذبه فيتلقاه مسالح الدجال-حرس الدجال المتسلحون- ويقولون: أين تريد؟ يقول: أريد الرجل الذي خرج، فيأخذونه ويقولون: أتؤمن بربنا؟ فيقول: لا، إنه الدجال، فيريدون أن يقتلوه، ولكن بعضهم يقول لبعض: أليس قد قال ربنا لا تقتلوا أحدًا دوني، فيتركونه، ثم يأتون به

إلى الدجال فيشهد هذا الرجل المسلم يعني أنه هو الدجال الذي أخبر به ﷺ فيغضب عليه، ويأمر بالمنشار فينشر من رأسه إلى ما بين رجليه – يعني يَشُقُّه – طولاً كما جاء في الحديث السابق ويمشي بينهما، ثم يدعوه فيخرج ويقوم يتهلل وهو يقول: والله ما ازددت فيك إلا بصيرة، يفعل هذا مرتين أو ثلاثة ثم يريد أن يقتله ويعجز، يجعل الله تعالى هذا الرجل حديدًا لا يستطيع أن يقتله وهذا إما أن يكون حديدًا حقًّا والله على كل شيء قدير، وإما أن يكون صلبًا لا يستطيع أن تنفذ فيه السيوف، هذه كلها صفات الدجال.

– ومنها أيضًا: أن الرسول ﷺ ذكر أن معه نارًا وجنة، ولكن ناره جنة وجنته نار، ولما سأل أبو هريرة رضي الله عنه إنهم يقولون إن معه جبلاً من خبز قال: إنه أهون على الله من ذلك، يعني حتى لو كان معه هذا الشيء فإنه أهون على الله من ذلك، أو أن المعنى أنه لا يكون معه هذا لكنه مموه.

وعلى كل حال فإننا نؤمن أنه يكون في آخر الزمان رجل يخرج يسمى الدجال من أوصافه ما ذكر في هذا الباب وغيره. ونستعيذ بالله منه في كل صلاة، فقد أمرنا النبي ﷺ بعد التشهد الأخير من كل صلاة أن نستعيذ من فتنة المحيا والممات ومن عذاب القبر. وفتنة المسيح الدجال.

* * *

١٨٢٠ – وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: "لَا

تَقُومُ السَّاعَةُ حَتّى يُقاتِلَ المسْلِمُونَ الْيَهُودَ، حتَّى يَخْتَبِيءَ اليَهُودِيُّ مِن وَرَاءِ الحجَرِ والشَّجَرِ، فَيَقُولُ الحجَرُ والشَّجَرُ: يا مُسْلِمُ هَذا يهوديٌّ خَلْفِي تَعَال فاقْتُلْهُ، إلا الغرْقَدَ فإنَّه من شجرِ اليهود"[١] متفق عليه.

١٨٢١ – وَعَنْهُ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: وَالَّذِي نَفْسِي بيَدِهِ لَا تَذْهَبُ الدُّنْيَا حَتَّى يَمُرَّ الرَّجُلُ بالقَبْرِ، فيتمَرَّغَ عَلَيْهِ، وَيقُولَ: يَا لَيْتَنِي مَكَانَ صَاحِبَ هَذا القَبْرِ، وَلَيْسَ بِه الدَّينُ، مَا بِهِ إِلّا الْبَلَاءُ"[٢] متفق عليه.

١٨٢٢ – وَعَنْهُ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: "لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتّى يَحْسِرَ الفُراتُ عَنْ جَبَلٍ مِنْ ذَهَبٍ يُقْتَتَل عَلَيْه، فَيُقْتَل مِنْ كلِّ مِائةٍ تِسْعةٌ وَتِسْعُونَ، فَيقول كُلُّ رجُلٍ مِنْهُم: لعلِّي أنْ أَكُونَ أنا أَنْجُو"[٣].

وَفي رواية: "يُوشكُ أن يَحْسِرَ الفُراتُ عن كَنْزٍ من ذهبٍ، فمن حَضَرَهُ فلا يأخُذْ مِنْهُ شيئًا"[٤] متفق عليه.

---

(١) رواه البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب قتال اليهود، رقم(٢٧٠٩)، ومسلم: كتاب الفتن وأشراط الساعة، لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل، رقم(٥٢٠٣).

(٢) رواه البخاري: كتاب الفتن، باب لا تقوم الساعة حتى يغبط أهل القبور، رقم(٦٥٨٢)، ومسلم: كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل، رقم(٥١٧٦).

(٣) رواه مسلم: كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب لا تقوم الساعة حتى يحسر الفرات عن جبل، رقم(٥١٥٢).

(٤) رواه البخاري: كتاب الفتن، باب خروج النار، رقم(٦٥٨٦)، ومسلم: كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب لا تقوم الساعة حتى يحسر الفرات عن جبل، رقم(٥١٥٣).

الشـــرح

قال المؤلف – رحمه الله تعالى – فيما ذكره من أشراط الساعة ما نقله عن أَبي هُريرةَ رضي الله عنه "أَنَّه لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حتَّى يُقَاتِلَ المسْلِمُونَ اليهودَ". المسلمون بعد بعثة الرسول ﷺ هم أتباع الرسول محمد ﷺ، وأما قبل ذلك فالمسلم من اتبع الشريعة القائمة، فقوم موسى في عهد موسى عليها الصلاة والسلام مسلمون، والنصارى في عهد عيسى عليه الصلاة والسلام مسلمون، ومن آمن من قوم نوح عليه الصلاة والسلام مسلمون، وهكذا كل من كان مؤمنًا برسول قائمةٌ رسالته فهو مسلم، لكن بعد بعثة الرسول محمد ﷺ ليس مسلمًا إلا من آمن به، وقد قال الحواريون ﴿نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ ۖ فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا۟ ظَٰهِرِينَ﴾ وأن ملكة سبأ قالت: ﴿رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [النمل: ٤٤] وغير ذلك مما هو معروف، واليهود هم أتباع موسى سموا بذلك نسبة إلى جدهم يهوذا، فهم ينتسبون إلى هذا الجد لكن مع التاريخ صاروا "يهود" بالدال وهي أمة غضبية ملعونة غدارة، خوانة، مكارة، واصفة لربها بالعيب والنقص، قالوا – أي اليهود –: ﴿يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾، وقالوا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ﴾، وقالوا: "إن الله تعب حين خلق السموات والأرض فاستراح يوم السبت" . إلى غير ذلك مما وصفوا الله تعالى به من النقائص والعيوب، أما الرسل فحدث ولا حرج: كفروا بالرسل، وقتلوهم بغير حق، وقتلوا المسيح عيسى بن مريم بزعمهم وما قتلوه وما صلبوه. فهم

أخبث أمة من الأمم، وهم قوم خونة غِدارة لا يؤتمنون بعهد ولا ذمة ولا يؤتمنون على شيء.

قبل يوم القيامة يقاتلون المسلمين، وتأمل كلمة "المسلمين"، يقتتل المسلمون واليهود فينتصر المسلمون عليهم نصرًا عزيزًا حتى إن اليهودي يختبئ بالحجر وبالشجر فيقول الشجر والحجر، ينطقه الله الذي أنطق كل شيء فيقولان: "يا مسلم هذا يهودي تحتي فاقتله" أحجار تنطق وأشجار لأن القتال بين المسلمين وبين اليهود، أما بين العرب واليهود فهذا الله أعلم من ينتصر، لأن مَنْ يقاتل اليهود من أجل العروبة فقد قاتل حمية وعصبية ليس لله عزَّ وجلَّ، ولا يمكن أن ينتصر ما دام قتاله من أجل العروبة لا من أجل الدين والإسلام إلا أن يشاء الله، لكن إذا قاتلنا اليهود – من أجل الإسلام ونحن على الإسلام حقيقة فإننا غالبون بإذن الله. حتى الأحجار والأشجار تتكلم لصالحنا وضد اليهود حتى الحجر يقول: هذا يهودي فاقتله، والشجر يقول: هذا يهودي فاقتله.

أما ما دامت المسألة عصبية وعروبة وما أشبه ذلك فلا ضمان للنصر أبدًا، ولهذا لا يمكن أن يقوم للعرب قائمة على أساس العروبة، والدليل على ذلك الواقع، فقد طحنوا وخبزوا عليها ولم تستفد شيئًا بل بالعكس، صارت النكبات العظيمة من اليهود على العرب شيئًا عظيمًا. احتلوا ديارهم وحاصروهم وآذوهم، ولكن لو كان القتال من أجل الإسلام وباسم المسلمين ما قامت لليهود قائمة، لكن من جهل العرب صاروا يقاتلون اليهود

من أجل العروبة، ولذلك لم ينتصروا عليهم حتى الآن، والانتصار على اليهود حقيقة مؤكدة في الإسلام لا غيب، ولن تقوم الساعة حتى يحصل ما أخبر به الصادق المصدوق رسول الله ﷺ: يقاتل المسلمون اليهود فيقتلهم المسلمون وينتصرون عليهم وينادي الحجر والشجر الذي ليس من عادته أن ينطق: يا مسلم هذا يهودي خلفي تعال فاقتله.

كذلك أيضًا من أشراط الساعة والذي لابد أن يكون: أن الفرات وهو النهر المعروف في شرقي أقصى الجزيرة يحسر عن جبل من ذهب أو أكثر من ذهب – تحسر بمعنى أن الذهب يخرج جبلاً – والذهب معروف:

رأيت الناس قد ذهبوا إلى من عنده ذهب

فالذهب يسلب العقول، كلٌّ يريد الذهب، سوف يحسر هذا النهر الجاري – عن جبل من ذهب فكل إنسان يقاتل غيره عليه، وقيل لأجل أن يحصل على البترول الذي صاروا يسمونه الذهب الأسود، فالله أعلم بما أراد رسول الله ﷺ، لكننا إلى الآن لا نعرف الذهب إلا أنه ذلك المعدن الأصفر المعروف، فنبقى إلى ما هو عليه، ووراءنا أيام، فالدنيا لم تنته بعد حتى نقول: لابد أن نطبق الحديث على الواقع الحاضر، لو أن الدنيا انتهت لقلنا: نعم، صدق رسول الله ﷺ المراد بالذهب هو هذا البترول، لأنه يباع بالذهب، لكن ما دامت الدنيا لم تنته فنحن ننتظر ما أخبر به الصادق المصدوق، ولابد أن يقع ويقتتل الناس عليه، وهذا من أشراط الساعة لكنه لم يأت بعد والله الموفق.

❊ ❊ ❊

١٨٢٣ - وعَنْهُ قالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: "يَتْرُكُونَ المدِينَةَ عَلَى خَيْرِ مَا كَانَتْ، لَا يغْشَاهَا إِلَّا العَوَافِي - يُرِيد: عَوَافِي السِّباعِ والطَّيْر - وآخرُ من يُحْشَرُ رَاعِيَانِ مِنْ مُزَيْنَةَ يُرِيدَانِ المدينةَ يَنْعَقان بِغَنَمِهِمَا فَيَجِدانِهَا وُحُوشًا، حَتَّى إذا بَلَغَا ثَنِيَّةَ الوداعِ خَرّا على وُجُوهِهَا(١)" متفق عليه.

١٨٢٤ - وعن أبي سعيدٍ الخُدْرِيِّ رضي الله عنه أن النَّبيَّ ﷺ قال: "يكونُ خليفةٌ من خُلَفَائِكُمْ فِي آخِرِ الزَّمَانِ يَحْثُو المال ولا يَعُدُّهُ(٢)" رواه مسلم.

١٨٢٥ - وَعَنْ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ رضي الله عنه أَنَّ النبيَّ ﷺ قَالَ: "ليأتِيَنَّ عَلى النَّاسِ زمانٌ يَطُوفُ الرَّجُلُ فِيه بِالصَّدَقَةِ مِنَ الذَّهَبِ، فَلا يَجِدُ أَحَدًا يأخُذُها مِنْهُ، ويُرى الرَّجُلُ الوَاحِدُ يتبعُهُ أَرْبَعُونَ امرأَةً يَلُذْنَ به مِنْ قِلَّةِ الرِّجالِ وكثرةِ النِّسَاءِ(٣)" رواه مسلم.

١٨٢٦ - وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "اشْتَرى رَجُلٌ مِن رَجُلٍ عَقارًا، فَوَجَدَ الَّذِي اشْتَرى العقارَ في عقارِهِ جَرَّةً فِيها ذهبٌ،

---

(١) رواه البخاري: كتاب الحج، باب من رغب عن المدينة، رقم(١٧٤١)، ومسلم: كتاب الحج، باب في المدينة حين يتركها أهلها، رقم(٢٤٦٢).

(٢) رواه مسلم: كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل، رقم(٥١٩٠).

(٣) رواه مسلم: كتاب الزكاة، باب الترغيب في الصدقة قبل أن لا يوجد من يقبلها، رقم(١٦٨٠).

فَقَال لَهُ الَّذِي اشْتَرى العقار: خُذْ ذَهَبَكَ، إِنَّمَا اشْتَريتُ مِنْكَ الْأَرْضَ، ولم أَشْتَرِ الذَّهَبَ، وَقَالَ الّذِي له الأرضُ، إِنَّمَا بِعْتُكَ الْأرضَ وَمَا فِيها، فتَحَاكَمَا إلى رَجُلٍ، فَقَالَ الذي تحاكَمَا إليه: أَلَكُمَا ولدٌ؟ قال أحدُهُمَا: لي غُلامٌ، وقال الآخرُ: لي جاريةٌ، قال أَنْكِحَا الغُلامَ الجارية، وأَنْفِقُوا على أنفسِهمَا منهُ وتصدَّقَا"[1] متفق عليه.

١٨٢٧ – وعَنْهُ رضي الله عنه أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: "كَانَتِ امْرَأَتانِ مَعَهُمَا ابْنَاهُمَا، جَاءَ الذِّئْبُ فَذَهَبَ بابْنِ إحداهُمَا، فَقَالتْ لِصَاحِبَتِها: إِنَّمَا ذَهَبَ بابْنِكِ، وَقَالتِ الأُخْرَى: إِنَّمَا ذَهَبَ بابْنِكَ، فتَحَاكَمَا إلى داوُدَ ﷺ فَقَضَى به للكُبْرَى، فخَرَجَتَا على سُلَيْمَانَ بْنِ داودَ ﷺ فأَخْبَرَتَاهُ. فقال: ائتُوني بالسِّكينَ أَشُقُّهُ بَيْنَهُمَا. فَقَالتِ الصُّغْرَى: لا تَفْعَلْ، رَحِمَكَ اللهُ، هُو ابْنُهَا. فقضى بِهِ للصُّغْرَى"[2] متفق عليه.

الشــرح

في هذا الباب الذي عقده النووي – رحمه الله تعالى – في المنثورات والملح تقدم ما تقدم من ذكر الدجال ويأجوج ومأجوج، وذكر أحاديث في هذا المجلس تدل على أن المدينة النبوية زادها الله تشريفًا وتعظيمًا يخرج عنها

---

(١)رواه البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث الغار، رقم(٣٢١٣)، ومسلم: كتاب الأقضية، باب استحباب إصلاح الحاكم بين الخصمين، رقم(٣٢٤٦).

(٢) رواه البخاري: كتاب الفرائض، باب إذا دعت المرأة ابنا، رقم(٦٢٧١)، ومسلم: كتاب الأقضية، باب بيان اختلاف المجتهدين، رقم(٣٢٤٥).

أهلها ولا يبقى فيها إلا الهوام أي السباع والطيور، لكن هذا لم يأت بعد، وما أخبر به الصادق المصدوق ﷺ من أمور الغيب فسوف يقع ولا شك في ذلك؛ لأن النبي ﷺ يُوحى إليه بها، فهذا لا ينطق عن الهوى.

وفيها كثرة المال حيث أخبر ﷺ أنه يقوم في آخر الزمان خليفة يحثو المال ولا يعده يعني أنه ينفق إنفاقًا بلا عدد لكثرة الأموال.

وفيها أيضًا حديث أبي هريرة رضي الله عنه وهذا ليس من أشراط الساعة لكن من الملح: أن رجلاً اشترى من رجل أرضًا فوجد فيها جرة من ذهب، فذهب المشتري إلى البائع وقال خذ هذا، هذا مالك، فإني اشتريت أرضًا ولم أشتر الذهب، فقال البائع: أنا بعت الأرض وما فيها، هذا يدل على ورعهما فكل واحد منهما بسبب ورعه يقول: ليس لي هذا المال. فتحاكما إلى رجل فقال لأحدهما: ألك بنت؟ قال: نعم، وقال للثاني: ألك ابن، قال: نعم، فقال: زوجا الابن للبنت واجعلا هذا الذهب للمهر والنفقة، ففعلا. ففي هذا دليل على أنه يوجد من الناس من هو ورع إلى هذا الحد.

أما حكم هذه المسألة فقال العلماء – رحمهم الله- إن الإنسان إذا باع أرضًا على شخص ووجد المشتري فيها شيئًا مدفونًا من ذهب أو غيره فإنه لا يملكه بملك الأرض، بل يكون للبائع وإذا كان البائع اشتراها من آخر فهي تداول لأن هذا المدفون ليس من الأرض بخلاف المعادن: فلو اشترى أرضًا ووجد فيها معدنًا من ذهب أو فضة أو حديد أو نحاس أو غيره فإنه يتبع الأرض.

وفيها أيضًا حديث أبي هريرة – رضي الله عنه- في قصة امرأتين خرجتا بابنين لهما فأكل الذئب ابن واحدة منهما وبقي ابن الأخرى، فقالت كل واحدة منهما: إنه لي، الكبرى تقول: لي، والصغرى تقول: لي، فتحاكما إلى داود عليه الصلاة والسلام فقضى به للكبرى اجتهادًا منه، لأن الكبرى ربما تكون قد توقفت عن الإنجاب. أما الصغرى فشابة وربما تنجب غيره في المستقبل فجعله للكبرى، ثم خرجتا منه إلى سليمان عليه الصلاة والسلام ابنه، فأخبرتاه بالخبر فدعا بالسكين وقال: أشقه بينكما نصفين. أما الكبرى فرحبت، وأما الصغرى فأبت وقالت: لا تفعل رحمك الله يا نبي الله، هو ابنها- أدركتها الشفقة لأنه ابنها حقيقة ولكن الكبرى لا يهمها لأنه ليس ولدها، فقضى به للصغرى بالقرينة لأن كونها ترحم هذا الولد وتقول: هو للكبرى ويبقى حيًّا وإن كان سيكون عند غيرها أهون من شقه نصفين، فأخذ العلماء من هذا الحديث العمل بالقرائن وأنه يجوز للقاضي أن يحكم بالقرائن إذا كانت قوية.

ومن ذلك ما حصل بين امرأة العزيز "ويوسف بن يعقوب" عليهما الصلاة والسلام، حبس في السجن وكان عليه السلام جميلاً جدًّا حتى إنه أُعطي نصف الحسن، نصف جمال الناس ليوسف، فامرأة العزيز وهي امرأة ملكٍ لها حسب ولها منزلة، لكن عجزت أن تملك نفسها حتى مكرت به وكادت له وأدخلته في البيت وغلقت الأبواب ودعتْه إلى نفسها – والعياذ بالله –، ولكنه

عصمه الله عزَّ وجلَّ فلحقته وأمسكت بثوبه وانشق الثوب من الخلف، ووجدوا سيدها لدى الباب ﴿ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [يوسف: ٢٥] . هذا حصل قبل السجن ﴿ قَالَ هِيَ رَٰوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي ﴾ [يوسف: ٢٦]. وهذا قبل السجن ليس عنده بينة، والمرأة قد لحقته وهو يريد الخروج، فمن يكون المصدق في هذه الحال؟ امرأة العزيز لأنها ذات حسب وزوجة الملك فلا يمكن أن تذل نفسها للخادم، ولكن ﴿ قَالَ هِيَ رَٰوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي ﴾ . فحكم حاكم من أهل البيت قال: انظروا إلى قميصه – ثوبه – ﴿ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾، لأنه إذا كان من قُبُل يعني أنه الطالب المراود وأرادت التخلص منه فمزقت ثوبه، وإن كان من دبر فهو قد هرب منها ولحقته ﴿ فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴾ [يوسف: ٢٨]. وصار الصادق يوسف عليه الصلاة والسلام وليس معه بينة تشهد ولكن هناك قرينة تشهد على صدقه، وهذا لا شكَّ أنه قاعدة جليلة للقاضي ولغيره ممن جُعل حكمًا بين الناس أن يعمل بالقرائن الظاهرة.. والله الموفق.

* * *

١٨٢٨ - وَعَنْ مِرْدَاسٍ الأَسْلَمِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "يَذْهَبُ الصَّالِحُونَ الأَوَّلُ فالأَوَّلُ، وتبقى حُثَالَةٌ كحُثَالةِ الشعيرِ أو التَّمْرِ، لا يُباليهمُ الله بالَةً[1]" رواه البخاري.

١٨٢٩ - وَعَنْ رفاعةَ بنِ رافعِ الزُّرَقيِّ رضي الله عنه قال: جاءَ جِبْرِيلُ إلى النبي ﷺ قال: ما تَعُدُّون أَهلَ بَدْرٍ فيكُمْ؟ قال: "مِنْ أفضلِ المسلمين" أو كلمة نَحْوَهَا قال: "وكذلك من شَهِدَ بَدْرًا من الملائكة[2]" رواه البخاري.

١٨٣٠ - وعَنِ ابن عُمَرَ رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: "إِذَا أَنْزَلَ اللهُ تَعَالى بِقَوْمٍ عَذَابًا أَصَابَ الْعَذَابُ مَنْ كَانَ فِيْهِمْ، ثُمَّ بُعِثُوا على أعمالهم[3]" متفق عليه.

الشــرح

هذه أيضًا من الأحاديث التي ذكرها الحافظ النووي - رحمه الله - في آخر كتابه رياض الصالحين من المُلَح. منها أن النبي ﷺ أخبر أنه يذهب الصالحون الأول فالأول ثم يبقى حثالة كحثالة الشعير أو التمر لا يبالي الله بهم ولا ينزل عليهم الرحمة، وهذا الحديث يشبه حديث أنس بن مالك رضي الله عنه حين جاء الناس إليه يشكون ما وجدوا من الحجاج بن يوسف الثقفي

(١) رواه البخاري: كتاب الرقاق، باب ذهاب الصالحين، رقم(٥٩٥٤).

(٢) رواه البخاري: كتاب المغازي، باب شهود الملائكة بدرًا، رقم(٣٦٩٢).

(٣) رواه البخاري: كتاب الفتن، باب إذا أنزل الله بقوم عذابًا، رقم(٦٥٧٥)، ومسلم: كتاب الجنة وصفة نعيمها، باب الأمر بحسن الظن بالله تعالى عند الموت، رقم(٥١٢٧).

فأخبرهم أن النبي ﷺ قال: "لا يأتي عليكم زمان إلا والذي بعده شر منه حتى تلقوا ربكم(١)".

فهذا الحديث يشبه الحديث الذي أشرنا إليه، ولذلك تجد الناس يتردون كل عام عن العام الذي قبله، "يذهب الصالحون الأول فالأول" فيما سبق تجد الناس يتهجدون في الليل، ويصومون في النهار، ويتصدقون من أقواتهم، ويؤثرون على أنفسهم، أما الآن تجد الناس تغيروا من سنة إلى أخرى إلى أردى من قبل، سهر في الليل على غير طاعة الله، ونوم في النهار أو لهو أو بيع وشراء يشتمل على الغش والكذب والخيانة – والعياذ بالله –.

ومع ذلك يوجد أناس – ولله الحمد – على دين الله مستقيمين على ما يبدو لكن العبرة بالعموم والشمول، ولهذا أخبر النبي ﷺ كما في الحديث الثالث الذي رواه البخاري أن الناس إذا نزل بهم العذاب شمل الجميع كما قال تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الأنفال: ٢٥]. لكنهم يبعثون يوم القيامة على نيتهم كل على ما هو عليه.

ولذلك يجب الحذر من أن يكون الإنسان من الحثالة التي كحثالة الشعير أو التمر، وأن يحرص على أن يستقيم على أمر الله حتى لو كان الناس قد هلكوا فإنهم – إن أصيبوا بالعذاب العام – فإنه يبعث كل إنسان على نيته يوم القيامة.

---

(١) رواه البخاري: كتاب الفتن، باب لا يأتي زمان إلا الذي بعده شر منه، رقم(٦٥٤١).

كذلك أيضًا من المُلَح أن جبريل أتى النبي ﷺ فقال له: "ما تعدون أهل بدر فيكم؟" قال النبي ﷺ: "من أفضل المسلمين" أو كلمة نحوها. قال: "وكذلك من شهد بدرًا من الملائكة".

وبدر: اسم مكان معروف بين مكة والمدينة، كان فيه وقعة بين المسلمين والمشركين، سببها أن أبا سفيان صخر بن حرب كان رئيسًا في أهل مكة، قدم من الشام بعير فيها طعام لأهل مكة - فلما سمع بذلك النبي ﷺ أخبر أصحابه بذلك، وكان أهل مكة قد أخرجوا المسلمين من ديارهم وأموالهم، واستباحوها فكان للمؤمنين أن يستبيحوا أموال الكفار جزاءً وفاقًا، فندب النبي ﷺأصحابه ليخرجوا إلى هذه العير فقط، فخرج معه ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً - يعني ما بين العشرة إلى العشرين يعني ثلاثمائة وعشرون أو ثلاثمائة وعشرة، ليس معهم سلاح فما معهم إلا سبعون بعيرًا يتعاقبونها وفَرَسان اثنان فقط، لأنهم لم يخرجوا لقتال وإنما خرجوا للعير يأخذونها ويرجعون، وكان أبو سفيان رجلاً محنكًا ذكيًّا أرسل إلى أهل مكة وقال لهم: "أنقذوا عيركم، محمد وأصحابه سيخرجون إلينا ليأخذوها" ثم سلك طريق البحر بعيدًا عن المدينة، وقريش لما سمعت بهذا أخذتها حمية الجاهلية فاستنفروا ونفروا جميعًا بكبرائهم وعظمائهم لحكمة أرادها الله - عزَّ وجلَّ - فلما خرجوا ظاهر مكة جاءهم الخبر أن أبا سفيان سلم ونجا لأنه سلك طريق البحر بعيدًا عن المدينة، فتشاوروا فيما بينهم، قالوا: ما دامت العير قد نجت فنرجع إلى مكة بلا حرب. فقال كبراؤهم كأبي جهل وغيره: والله ما نرجع إلى مكة أبدًا حتى نصل إلى بدر وهي نقطة المفرق بين طريق

مكة والمدينة والشام ننحر الجزور يعني الإبل ونشرب الخمور – نعوذ بالله – وتعزف علينا القينات الجواري فرحًا وطربًا وتسمع بنا العرب، فلا يزالون يهابوننا أبدًا، فخرجوا كما قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ ﴾ [الأنفال: ٤٧]. فصمموا على أن يقابلوا الرسول ﷺ ويلتقوا في بدر، وكان النبي ﷺ وأصحابه ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً، وقريش تسعمائة رجلاً إلى ألف، لكن قريشًا مستعدة للحرب بعتادها وقوتها والرسول ﷺ لم يستعد للحرب، ولكن الله عزَّ وجلَّ جمع بينهم على غير ميعاد لينفذ ما حكم وأراد عزَّ وجلَّ فالتقوا، وفي هذا يقول الله عزَّ وجلَّ: ﴿ إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِى مَنَامِكَ قَلِيلًا ﴾ فقد رآهم الرسول ﷺ في المنام قليلاً ليتشجع على لقائهم ﴿ وَلَوْ أَرَىٰكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَ ۗ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٤٣﴾ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِىٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِىٓ أَعْيُنِهِمْ ﴾ . سبحان الله هم يرون الصحابة قليلين، والصحابة يرونهم قليلين حتى ينشط كل واحد لمقابلة الآخر فالتقوا وحدثت معركة، وقتل من أهل مكة سبعون وأسر سبعون رجلاً، ومنهم صناديد قريش وزعماؤهم الكبار العظماء، ومنهم السبعة أو الثمانية الذين ألقوا سلا الجزور على رسول الله ﷺ وهو ساجد تحت الكعبة في قصة مشهورة والتي دعا فيها الرسول ﷺ عليهم قائلاً: اللهم عليك بقريش، اللهم عليك بقريش، اللهم عليك بفلان وفلان وعددهم فقُتِلوا في بدر، ثم إن الرسول ﷺ أمر بهؤلاء الصناديد الكبراء وألقوا في بئر منتنة خبيثة إهانة لهم وبقي الرسول ﷺ منصورًا مظفرًا في ذلك

المكان ثلاثة أيام، وكان من عادته إذا قاتل قومًا وانتصر عليهم أن يبقى ثلاثة أيام.. إلى آخر ما هو مشهور عن تلك المعركة العظيمة.

والحاصل أن الذين قاتلوا في بدر وهم ثلاثمائة وسبعة عشر رجلاً هم من أفضل المسلمين أتدرون ماذا قال الله لهم؟ قال:: "**اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم**[1]" كل ذنب يفعله واحد من أهل بدر - مهما عظم - فهو مغفور له، لكنهم لن يكفروا، وحصل هذا تطبيقًا: فإن أحدهم لما أراد النبي ﷺ أن يذهب إلى قريش في غزوة الفتح أرسل حاطب- وهو ممن حضروا معه بدرًا- امرأة معها كتاب إلى قريش قال لهم: إن الرسول ﷺ سيغزوكم فانتبهوا، فأطلع الله نبيه ﷺ على هذا العمل فأرسل رجلين أحدهما علي بن أبي طالب رضي الله عنه إلى هذه المرأة وأدركوها في روضة وأمسكوا بها وقالوا لها: إلى أين؟ قالت: إلى مكة؟ وماذا معك؟ قالت: لا شيء، قالوا لها: إما أن تعطينا ما معك وإلا.. يعني كشفنا عنك، فأخرجته لهم وإذا هو كتاب حاطب بن بلتعة رضي الله عنه وهو ممن شهد بدرًا فجاءوا به للرسول ﷺ وعرضوه عليه، فدعاه قائلاً: ما هذا يا حاطب؟ كيف تخون؟ كيف ترسل إلى قريش بأخبارنا؟ - وهذا يسمى عند الناس جاسوسًا - اعتذر - رضي الله عنه - بعذر. وقال عمر أو غيره من الصحابة - رضي الله عنهم - يا رسول الله ألا أضرب عنقه، فإنه قد خان الله ورسوله. قال ﷺ: "**أما علمت أن الله اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم**" فوقعت هذه الفعلة القبيحة الشنيعة

---

(١) رواه البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب الجاسوس، رقم(٢٧٨٥)، ومسلم: كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أهل بدر رضي الله عنهم، رقم(٤٥٥٠).

وقعت موقع مغفرة لأن الرجل من أهل بدر، فهؤلاء أهل بدر رضي الله عنهم وجمعنا وإياكم معهم في جنات النعيم.

وعلى هذا إذا وجدنا جاسوسًا من المسلمين يخبر الكفار بأخبارنا وجب قتله بدون استثناء حتى لو قال: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، لأن الرسول ﷺ لم يمنعه من قتل حاطب إلا كونه من أهل بدر، وهي مزية لن تحصل إلى يوم القيامة، وقد استدل العلماء رحمهم الله بهذا الحديث على أن الجاسوس يقتل سواء أكان مسلمًا أو كافرًا على كل حال، لأنه يفضي بأخبارنا إلى أعدائنا. والله الموفق.

* * *

١٨٣١ - وعَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ جِذْعٌ يَقُومُ إِليه النبيُّ ﷺ يَعْني في الخُطبة. فلما وُضِعَ المِنْبَرُ، سمعنا للجذْعِ مثلَ صوتِ العِشَارِ حتَّى نزلَ النبيُّ ﷺ فوضعَ يَدَه عليه فَسَكَنَ[(١)].

وفي رواية: فَلَمَّا كان يومُ الجمعة قَعَدَ النَّبِيُّ ﷺ على المنبر، فَصَاحَتِ النخلةُ التي كان يخطبُ عندها حتى كادتْ أن تَنْشَقَّ[(٢)].

وفي رواية: فصاحتْ صياحَ الصَّبِيِّ، فنزل النبيُّ ﷺ حتى أخذها فضمَّها إليه، فجعلتْ تَئِنُّ أَنِينَ الصَّبِيِّ الذي يُسَكَّتُ حَتَّى اسْتَقَرَّتْ، قال:

(١) رواه البخاري: كتاب الجمعة، باب الخطبة على المنبر، رقم(٨٦٧).

(٢) رواه البخاري: كتاب البيوع، باب النجار، رقم(١٩٥٣).

"بَكَتْ على مَا كانَتْ تسمعُ من الذِّكْرِ(١)" رواه البخاري.

الشـرح

هذه الأحاديث المنثورة ذكرها المؤلف – رحمه الله تعالى – منها: حديث جابر وفيه من آيات الله – عزَّ وجلَّ – وآية للرسول ﷺ.

واعلم أن الله تعالى لم يبعث نبيًّا إلا آتاه من الآيات ما يؤمن على مثله البشر، لأنه لو أرسل رسولاً بدون آية تدل على أنه رسول الله ما صدقه أحد، ولكان للناس عذر في رد قوله، ولكن الله تعالى بحكمته ورحمته ما أرسل رسولاً إلا آتاه من الآيات ما يؤمن على مثله البشر، والآيات يعني العلامات التي تدل على صدقه، وآيات النبي ﷺ كثيرة ومن أراد الاستزادة منها فعليه بكتابين:

أحدهما: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح فقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله تعالى – في آخر هذا الكتاب من آيات النبي ﷺ الكونية والشرعية ما لم يحصل لغيره – رحمه الله رحمة واسعة –.

والثاني: البداية والنهاية لابن كثير رحمه الله فآيات الرسول ﷺ كثيرة منها ما ذكره جابر – رضي الله عنه- كان النبي ﷺ يخطب يوم الجمعة إلى جذع نخلة في مسجده، فلما صنعت له امرأة من الأنصار منبرًا يخطب عليه، حَنَّ الجذع حنان العشار وأحيانًا يبكي بكاء الصبي لفقد النبي ﷺ، الله أكبر! جماد.. جذع.. يبكي لفقد الرسول ﷺ، والآن سنن عظيمة من هدي الرسول

---

(١) رواه البخاري: كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، رقم(٣٣١٩).

ﷺ فقدت لا يبكي لها أحد، أعاننا الله وإياكم على ذكره وشكره وحسن عبادته، نزل النبي ﷺ وجعل يسكنه كما تسكت الأم صبيًّا وهو جماد فسكت الجذع. فكان في هذا آيتان:

الأولى: صياح الجذع لَّما فقد النبي ﷺ.

الثانية: سكوت الجذع لما نزل النبي ﷺ يسكته.

ونظيرها آية وقعت لموسى – عليه السلام – فقد آذاه بنو إسرائيل أذية عظيمة كما قال الله عزَّ وجلَّ ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوۡاْ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْ ﴾ [الأحزاب: ٦٩]. من جملة ما قالوا فيه: إنه آدر – يعني كبير الخصيتين – وهو عيب وكان موسى ﷺ يستتر إذا اغتسل وكانوا هم لا يفعلون هذا فقالوا: إن موسى لا يستتر إلا لما فيه من عيب، فأراد الله – عزَّ وجلَّ – أن يريهم أنه لا عيب فيه بغير اختيار موسى عليه السلام.

فنزل يغتسل مرة ووضع ثوبه على حجر، وأثناء اغتساله هرب الحجر في الجو، ذهب يسعى يشتد فلحقه موسى يقول: **"ثوبي حجر ثوبي حجر"** يعني أعطني ثوبي يا حجر، والحجر سائر حتى وصل إلى ملأ من بني إسرائيل فشاهدوا موسى بلا عيب- والحمد لله- ثم وقف الحجر فجعل موسى يضربه لأنه فعل ما يفعله العاقل فاستحق أن يؤدبه بالضرب، ومثل ذلك ما تفعله الأمهات بأبنائهن الصغار إذا عثر الطفل أو ضربه شيء جعلت تضرب ما عثر به لأجل أن تسكت الصبي وتطيب خاطره فإذا كان ينفع الصبي ويطيب خاطره فلا بأس ، والله أعلم.

١٨٣٢ - وَعَنْ أَبِي ثَعْلَبَة الخُشْني جُرْثُوم بْن ناشرٍ رضي الله عنه عَنْ رَسُولِ الله ﷺ: قَالَ: "إنَّ اللهَ تَعَالَى فَرَضَ فَرَائِضَ فلا تُضَيِّعُوها، وحَدَّ حُدُودًا فَلا تعْتَدُّوها، وَحرَّم أَشْيَاء فَلا تَنْتَهِكُوها، وَسَكَتَ عَنْ أَشْيَاءَ رحمةً لَكُمْ غَيْر نِسْيَانٍ فلا تَبْحَثُوا عنها[1]" حديث حسن، رواه الدارقطني وغيره.

الشـرح

هذا الحديث من الأحاديث المنثورة التي ذكرها النووي - رحمه الله - عن أبي ثعلبة الخشني رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: "إن الله فرض فرائض فلا تضيعوها وحد حدودًا فلا تعتدوها وسكت عن أشياء رحمة لكم فلا تبحثوا عنها" هذه ثلاث جمل بينها النبي ﷺ وبين حكمها:

أولاً: "فرض الله فرائض" وأعظم الفرائض على عباده التوحيد، شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، توحيد الله بالعبادة وألا يعبد أحد سواه، وفي شهادة أن محمدًا رسول الله توحيد النبي ﷺ بالمتابعة بحيث لا يتابع أحدٌ سواه، هذه أفرض الفرائض ثم الصلوات والزكاة والصوم والحج وبر الوالدين وصلة الرحم وحسن الجوار والصدق والنصيحة، أشياء كثيرة فرضها الله تعالى - على عباده منها فرائض عينية على كل واحد من الناس، ومنها فرائض كفاية إذا قام بها من يكفي سقط عن الباقين، فالصلوات الخمس فرض عين لابد على كل مسلم أن يقوم بها، والصلاة على الجنازة

(١) رواه الحاكم في المستدرك: (٤/ ١٢٩)، والبيهقي في الكبرى (١٠/ ١٢)، والدارقطني: (٤/ ١٨٤)، والطبراني في الكبير (٢٢/ ٢٢٢).

فرض كفاية إذا قام بها واحد سقط عن الباقين.

ثانيًا: "وحد حدودًا فلا تعتدوها" يعني جعل الأشياء حدًّا معينًا، فالصلوات الخمسة مثلاً لها حد وهي أوقاتها: الظهر من زوال الشمس إلى أن يصير ظل كل شيء مثله في الزوال، والعصر من هذا الوقت إلى غروب الشمس والاختيار إلى اصفرار الشمس، والمغرب من غروب الشمس إلى مغيب الشفق الأحمر، والعشاء من مغيب الشفق الأحمر إلى نصف الليل، والفجر من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس، فهذه حدود والصوم له حد، من طلوع الفجر إلى غروب الشمس، والحج أشهر معلومات في أماكن معينة. الخ.

"فلا تعتدوها" يعني لا تتجاوزوها قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ ﴾ [الطلاق: ١]. ﴿ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴾ [البقرة: ٢٢٩].

ثالثًا: "وسكت عن أشياء رحمة لكم فلا تبحثوا عنها". سكت عن أشياء: لم يوجبها علينا ولم يحرمها ولو شاء لأوجب علينا ما شاء وحرم ما شاء، لكنه سكت عن أشياء لولا رحمته لألزمنا بها، وأضرب لكم مثلاً بالصلوات الخمس، فأول ما فرضها الله على العباد خمسين صلاة في اليوم والليلة، ثم إن الله تعالى عفا وصارت خمسًا في العمل وخمسين في الميزان، وأشياء كثيرة عفا الله عنها ولو شاء لألزمنا به.

وفي قوله: "وسكت عن أشياء" دليل على ما ذهب إليه أهل السنة والجماعة من أن الله يتكلم بصوت مسموع، لأن السكوت ضد الكلام، وهو

جل وعلا يتكلم بما شاء متى شاء كيف شاء، ولا نعلم كيف يتكلم، ولا نعلم متى، ولا نعلم بماذا يتكلم، لكن نؤمن بأنه إذا أراد شيئًا قال له: كن فيكون، ولهذا لا تحصى كلمات الله عزَّ وجلَّ قال الله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ ﴾ يعني لو كانت جميع أشجار الأرض أقلامًا يكتب بها ﴿ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ﴾ [لقمان: ٢٧]. وقال عزَّ وجلَّ: ﴿ قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴾ [الكهف: ١٠٩].

* * *

١٨٣٣ - وَعَنْ عبدِ الله بْنِ أَبِي أَوْفَى رَضي اللهُ عَنْهُما قَالَ: غَزَوْنَا مَعَ رَسُولِ الله ﷺ سَبْعَ غَزواتٍ نأكُلُ الجَرادَ.

وَفِي رواية: نأَكُلُ مَعَهُ الجَرادَ[1]، متفق عليه.

١٨٣٤ - وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: "لا يُلْدَغُ المؤمنُ من جُحْرٍ واحِدٍ مرَّتَيْنِ[2]" متفق عليه.

---

(١) رواه البخاري: كتاب الذبائح والصيد، باب أكل الجراد، رقم(٥٠٧١)، ومسلم: كتاب الصيد والذبائح وما يؤكل من الحيوان، باب إباحة الجراد، رقم(٣٦١٠).

(٢) رواه البخاري: كتاب الأدب، باب لا يُلدغ المؤمن من جحر مرتين، رقم(٥٦٦٨)، ومسلم: كتاب الزهد والرقائق، باب لا يُلدغ المؤمن من جحر مرتين، رقم(٥٣١٧).

الشـــرح

ذكر المؤلف – رحمه الله تعالى – حديث عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه قال: غزونا مع النبي ﷺ سبع غزوات نأكل الجراد معه، والجراد معروف وهو من الحلال أن يأكله الإنسان حيًّا وميتًا، قال النبي ﷺ: "أحلت لنا ميتتان ودمان: فأما الميتتان فالحوت والجراد(١)" ولهذا لا يحتاج إلى تذكية، وهو صيد فإن كان في مكة حَرُمَ على الإنسان أن يصيدَه وأن يطيِّره من مكانه، ولقد كان الجراد قبل عامين في رمضان في مكة فأخذ الصبيان يلتقطونه من الحرم وما حوله وهذا حرام ولا يجوز ، ويجب على من رأى من يصيده بالحرم أن يزجره ويمنعه وينهاه لأنه صيد محرَّم لا يجوز صيده في مكة ولا أن تطيِّره هو وغيره من الطيور.

وفي هذا دليل على أن الصحابة رضي الله عنهم يستدلون بإقرار الرسول ﷺ، يعني إن فعلوا شيئًا وأقرهم عليه فهو حلال، وهو كذلك لأن الرسول ﷺ يستطيع منعهم وأن يقول لهم لا تفعلوا هكذا وسكت دل ذلك على الجواز.

أما حديث أبي هريرة – رضي الله عنه – فقال النبي ﷺ: "لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين" اللدغ هو لدغ الحية، والمؤمن كيس فطن محترز لا يلدغ من جحر مرتين، بمعنى أنه إذا حدث له شيء من أي عمل يقوم به فإنه لا يعود إليه لأنه حذر وإذا لدغ من جحر ترك وعرف أنه لا فائدة منه فالمؤمن

(١) رواه ابن ماجه: كتاب الأطعمة، باب الكبد والطحال، رقم(٣٣٠٥).

لا يلدغ من جحر مرتين، لأنه حذر فطن كيس لا يمكن يغبن ولا يخدع، فدل ذلك على أن الإنسان يجب أن يكون فطنًا وألا يعود لما أصابه بضرر بل يكون مؤمنًا، لأن هذا من كمال الإيمان. والله الموفق.

* * *

١٨٣٥ - وعَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: ثلاثةٌ لا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ القِيَامَةِ وَلَا يَنْظرُ إِلَيْهِمْ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَـهُمْ عَذَابٌ أليمٌ: رَجُلٌ عَلَى فَضْلِ مَاءٍ بالفَلَاةِ يَمْنَعُهُ مِنْ ابْنِ السَّبِيلِ، وَرَجُلٌ بَايَعَ رَجُلاً سِلْعَةً، بَعْدَ الْعَصْرِ، فَحَلَفَ بالله لَأَخَذَها بِكَذَا وَكَذَا، فصدَّقَهُ وَهُوَ عَلَى غَيْرِ ذَلِكَ، ورَجُلٌ بَايَعَ إماَمًا لَا يُبَايِعُهُ إِلَّا لِدُنْيَا، فَإِنْ أَعْطَاهُ مِنْهَا وَفَى، وَإِنْ لم يُعْطِهِ مِنْها لم يَفِ[١]" متفق عليه.

الشـــرح

هذا الحديث ذكره الحافظ النووي - رحمه الله تعالى - في كتابه رياض الصالحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ أخبر أن ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم.

"ثلاثة": يعني ثلاثة أصناف ليس المقصود ثلاثة رجال وإنما قد يكونون أممًا عظيمة اتصفوا بهذه الأوصاف:

أولهم: رجل على فضل ماء في فلاة يمنعه ابن السبيل، يعني إنسان عنده ماء من مزرعة أو بئر أو غير ذلك في أرض خالية من السكان يمر الناس

---

(١) رواه البخاري: كتاب الشهادات، باب اليمين بعد العصر، رقم(٢٤٧٦)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب بيان غلظ تحريم إسبال الإزار والمن بالعطية، رقم(١٥٧).

من عنده ليشربوا منه فيمنعهم - والعياذ بالله - فهذا لا يكلمه الله يوم القيامة ولا ينظر إليه ولا يزكيه وله عذاب أليم، وما بالك بحال رجل لا يكلمه الله يوم القيامة ولا ينظر إليه ولا يزكيه وله عذاب أليم.

والثاني: رجل باع سلعة على شخص بعد العصر فحلف للمشتري أنه أعطى كذا وكذا وهو كاذب، فاشتراها المشتري بناء على ما قاله البائع أنه صدق، فاشتراها والأمر ليس كذلك، فهذا أيضًا لا يكلمه الله يوم القيامة ولا ينظر إليه ولا يزكيه وله عذاب أليم، وذكر النبي ﷺ العصر لأن أفضل أوقات النهار ما بعد صلاة العصر وإلا فلو حلف الإنسان على سلعة في غير هذا الوقت أيضًا فهو لا يكلمه الله ولا ينظر إليه ولا يزكيه وله عذاب أليم.

وفي حديث أبي ذر رضي الله عنه الذي رواه مسلم: أن النبي ﷺ قال: "ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم" قَالَهَا ثَلَاثَةَ، فقال أبو ذرٍّ: مَن هم يا رسول الله، خابوا وخسروا؟ قال:

الأول: "المسبل" - يعني الذي يترك ثوبه عن كعبه.

والثاني: "المنان": الذي يمن على الناس، إذا أعطاهم مالاً أو علمهم أو أحسن إليهم بشيء، جعل يمن عليهم - والعياذ بالله - .

والثالث: "والمنفق سلعته بالحلف الكاذب": يعني الذي يحلف وهو كاذب ليزيد ثمن السلعة". فدل ذلك على أن ذكر وقت العصر في حديث أبي هريرة إنما هو لشدة العذاب والوعيد، وإلا فكل من حلف على سلعته وهو كاذب من أجل أن يزيد ثمنها فإنه لا يكلمه الله يوم القيامة ولا ينظر الله له ولا يزكيه وله عذاب أليم.

والثالث: في حديث أبي هريرة رضي الله عنه رجل بايع إمامًا لا يبايعه إلا للدنيا إن أعطاه وَفَّى له بالبيعة وإن لم يعطه لم يف بالبيعة. فهذا أيضًا من الذين لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم، وذلك أن بيعة الإمام واجبة، يجب على كل مسلم أن يكون له إمام، سواء كان إمامًا عامًّا كما جرى في عهد الخلفاء الراشدين ومن بعدهم من الخلفاء، أو إمامًا في منطقة كما هو الحال الآن، ومنذ أزمنة بعيدة من زمن الأئمة الأربعة ومن بعدهم والمسلمون متفرقون، كل جهة لها إمام وكل إمام مسموع له ومطاع بإجماع المسلمين، ولم يقل أحد من المسلمين إنه لا تجب الطاعة إلا إذا كان خليفة واحدًا على جميع بلاد الإسلام، ولا يمكن أن يقول أحد بذلك، لأنه لو قيل بهذا ما بقي للمسلمين الآن إمام ولا أمير ولمات الناس كلهم ميتة جاهلية، لأن الإنسان إذا مات وليس له إمام فإنه يموت ميتة جاهلية، يحشر مع أهل الجهل – والعياذ بالله –، الذين كانوا قبل الرسالات.

فالإمام في كل مكان وفي كل منطقة بحسبها، فمثلاً نحن هنا في السعودية أئمتنا آل سعود لهم علينا البيعة، يجب علينا طاعتهم في غير معصية الله عزَّ وجلَّ، وهم أئمتنا وندين الله تعالى بالولاء لهم، ونعتقد أن بيعتهم في أعناقنا ولو مات الإنسان على غير هذه العقيدة في هذه البلاد لمات ميتة جاهلية لأنه مات بلا إيمان، وكذلك أيضًا في مصر وفي غيرها من البلاد، كل له إمام جعل الله له السلطة عليه، ولو قلنا لا إمام إلا الإمام الذي يَعُمُّ جميع بلاد المسلمين ما بقي للمسلمين اليوم أئمة، ولكانت ميتة المسلمين كلهم ميتة جاهلية والعياذ بالله.

فهذا الرجل بايع الإمام لكنه بايعه للدنيا لا للدين، ولا لطاعة رب العالمين، إن أعطاه من المال وَفَّى، وإن منعه لم يف، فيكون هذا الرجل – متبعًا لهواه غير متبع لهداه ولا طاعة مولاه بل هو بنى بيعته على الهوى.

وقد يقول قائل مثلاً: نحن لم نبايع الإمام فليس كل واحد بايعه؟

فيقال: هذه شبهة شيطانية باطلة فالصحابة رضي الله عنهم حين بايعوا أبا بكر رضي الله عنه، هل كل واحد منهم بايع حتى العجوز في بيتها والبائع في سوقه؟! أبدًا المبايعة لأهل الحل والعقد ومتى بايعوا ثبتت على كل أهل هذه البلاد شاء أو أبى، ولا أظن أحدًا من المسلمين – بل العقلاء – يقول: إنه لابد أن يبايع كل إنسان ولو في جحر بيته ولو عجوزًا أو شيخًا كبيرًا أو صبيًّا صغيرًا!، ما قال أحد بهذا أبدًا، حتى الذين يدَّعون الديمقراطية في البلاد الغربية وغيرها لا يفعلون هذا – وهم كاذبون – حتى انتخاباتهم كلها مبنية على التزوير والكذب ولا يبالون أبدًا إلا بأهوائهم فقط.

أما في الدين الإسلامي فمتى اتفق أهل الحل والعقد على الإمام، فهو الإمام شاء الناس أو أبوا، فالأمر كله لأهل الحل والعقد، ولو جعل الأمر لعامة الناس حتى للصغار والكبار والعجائز والشيوخ وحتى من ليس له رأي ويحتاج أن يولى عليه، لو قيل بهذا ما بقي للناس إمام، لأن الناس لابد أن يختلفوا ولا يمكن أن يتفقوا، أما إذا جعل لأهل الحل والعقد واتفقوا على شخص أن يكون أميرهم، فهو أميرهم المطاع الذي يجب أن لا يموت

الإنسان إلا وفي عنقه بيعة له، فإن لم يفعل فإنه يموت ميتة جاهلية ـ والعياذ بالله ـ؛ والخلاصة أن هذه ثلاثة أشياء إذا اتصف بها الإنسان فإن الله لا يكلمه يوم القيامة، ولا ينظر إليه ولا يزكيه، وله عذاب أليم.

وفي هذا الحديث دليلٌ على ثبوت كلام الله - عزَّ وجلَّ - كما هو مذهب أهل السنة والجماعة أن الله تعالى موصوف بالكلام، يتكلم كما شاء، وبما شاء لا أحد يعجزه ولا يمتنع عليه شيء ﴿ إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [يس: ٨٢]. ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعۡجِزَهُۥ مِن شَيۡءٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمٗا قَدِيرٗا ﴾[فاطر: ٤٤].

فقوله: "لا يكلمهم الله" دليل على أنه يكلم غيرهم وهو كذلك.

وفيه أيضًا أن الله ينظر نظرين:

الأول: العام فإنه لا يخفى على نظره شيء - جل وعلا - يرى كل شيء.

والثاني: الخاص وهو نظر الرحمة وهو المنفي في الحديث، فإن الله لا ينظر إليهم نظر رحمة.

وفيه أيضًا دليلٌ على أن الله هو المزكي للعباد كما قال الله تعالى: ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ ﴾[النور: ٢١] . فالمزكي للأمور والمزكي للأشخاص والمزكي للأشياء وللأعمال هو رب العالمين - عزَّ وجلَّ - ، فأسأل الله تعالى أن يجعلنا وإياكم ممن زكاه ربه إنه على كل شيء قدير.

١٨٣٦ - وعَنْهُ عَن النبيِّ ﷺ قَالَ: بَيْن النَّفْخَتَيْنِ أَرْبَعُوْنَ" قَالُوا: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَرْبَعُوْنَ يَوْمًا؟ قال: أبيتُ، قالوا: أَرْبَعُوْنَ سَنَةً؟ قال: أبيتُ، قالوا: أَرْبَعُوْنَ شهرًا؟ قال: أبيتُ "ويبلى كُلُّ شيء مِنَ الإِنْسَانِ إلا عَجبَ الذَّنب، فِيه يُرَكَّبُ الخلقُ، ثم يُنَزِّلُ اللهُ مِنَ السَّماءِ مَاءً، فينبُتُون كما يَنْبُتُ البقلُ(١)" متفق عليه.

١٨٣٧ - وَعَنْهُ قَالَ: قَالَ النبيُّ ﷺ فِي مَجْلسٍ يُحَدِّثُ القومَ جاءَهُ أعرابيٌّ فقال: متى الساعة؟ فمضى رسول الله ﷺ يُحَدِّثُ، فقال بعضُ القوم: سمع ما قال، فَكَرِهَ ما قال، وقال بَعْضُهُم: بل لم يسمعْ، حَتَّى إذا قَضَى حديثَهُ قال: "أين السائلُ عن الساعة؟" قال: هَا أنا يا رسول الله. قال: "إذا ضُيِّعَتِ الأمانةُ، فانتظرِ السَّاعَةَ" قال: كيفَ إضاعَتُهَا؟ قال: "إذا وُسِّدَ الأمرُ إلى غير أهلِهِ فانتَظِرِ الساعة(٢)" رواه البخاري.

١٨٣٨ - وَعَنْه أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قال: "يُصَلُّون لَكُمْ، فَإِنْ أَصَابُوا فَلَكُمْ، وإِنْ أخطؤوا فَلَكُمْ وَعَلَيْهِمْ(٣)" رواه البخاري.

١٨٣٩ - وعنهُ رضي الله عنه قال: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ قَالَ: خَيْرُ النَّاسِ للنَّاسِ يأتُون بهمْ فِي السَّلاسِلِ فِي أَعْنَاقِهِمْ حَتّى يَدْخُلُوا في

(١) رواه البخاري: كتاب تفسير القرآن، باب يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجًا زمرًا، رقم(٤٥٥٤)، ومسلم: كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ما بين النفختين، رقم(٥٢٥٣).

(٢) رواه البخاري: كتاب العلم، باب من سئل علمًا وهو مشتغل في حديثه فأتم، رقم(٥٧).

(٣) رواه البخاري: كتاب الأذان، باب إذا لم يتم الإمام وأتم من خلفه، رقم(٦٥٣).

الإِسْلَامِ(١).

١٨٤٠ – وعَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: عَجِبَ اللهُ عزَّ وجلَّ مِنْ قَومٍ يَدْخُلُونَ الجنَّةَ في السَّلاسِلِ(٢) رواهما البخاري.

معناهُ: يُؤسَرُون ويقيدون، ثم يسلمون، فيدخلون الجنة.

الشـــرح

هذه الأحاديث من الملح والمنثورات وسبق الكلام على الكثير منها، فهذه أحاديث أربعة عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ يقول: "بين النفختين أربعون": يعني النفخ في الصور، والصور موكل به ملك من الملائكة يسمى (إسرافيل) هذا الصور ينفخ فيه أول مرة فيفزع الناس لهوله وشدته ثم يصعقون أي يموتون كلهم كما قال الله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ ﴾ [النمل: ٨٧]. وقال تعالى: ﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴾ [الزمر: ٦٨].

فالنفخة الأولى: يكون بها الفزع والصعق يعني: الموت والفناء.

والنفخة الثانية: يكون فيها القيام ﴿ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴾ قيام من قبورهم ينظرون ماذا حدث، وذلك أن الله تعالى يرسل عليهم مطرًا قبل ذلك غليظًا كمني الرجال، ثم ينبتون في قبورهم كما ينبت حمى السيل، يعني حبة

(١) رواه البخاري: كتاب تفسير القرآن، باب كنتم خير أمة أخرجت للناس، رقم(٤١٩١).

(٢) رواه البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب الأسارى في السلاسل، رقم(٢٧٨٨).

تنبت في الأرض ثم تخرج وهم كذلك ينبتون، ثم ينفخ في الصور النفخة الثانية فيخرج من هذا الصور كل نفوس العالم بإذن الله وتذهب كل نفس إلى جسدها الذي كانت تعمره في الدنيا لا تخطئه، سبحان الله العظيم!

عالم لا يحصيهم إلا الله تخرج أرواحهم من هذا الصور كل روح تذهب إلى جسدها التي كانت تعمره في الدنيا لا تخطئه.

بين النفختين أربعون، قيل لأبي هريرة: أربعون يومًا؟ قال: أبيت، يعني لا أدري، قالوا: أربعون سنة؟ قال: أبيت، لا أدري، قالوا: أربعون شهرًا؟ قال: أبيت، قال النبي ﷺ بينهما أربعون فنقول كما قال الرسول ﷺ - والله أعلم - والمهم أن هذا هو نفخ الصور ثم يقوم الناس إلى يوم الحساب لرب العالمين فيحاسبهم: كل يحاسب بذنبه، وحسابه - عزَّ وجلَّ - دائر بين الفضل والعدل لا ظلم فيه، لأن المحاسبة إما ظلم أو عدل أو فضل، وحساب الله عزَّ وجلَّ دائر بين الفضل والعدل قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿ فَٱلْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [يس: ٥٤].

أما الحديث الثاني - حديث الأعرابي الذي جاء إلى النبي ﷺ قال: متى الساعة؟ وكان النبي ﷺ يتحدث إلى أصحابه، فمضى في حديثه لم يجب أن يقطعه ﷺ وكأنه والله أعلم حديث متواصل. فقال قوم: "سمع ما قال فكره ما قال" والإنسان إذا كره سؤال السائل فلا حرج عليه ألا يجيبه حتى ولو سمعه، لأنه قد يكون السائل ليس عنده حكمة وليس عنده حلم فيسأل سؤالاً غير مناسب فللمجيب أن يدعه ولا يجيب، وقال آخرون: لعله لم يسمعه. فلما قضى النبي ﷺ حديثه قال: "أين السائل؟" قال: أنا يا رسول الله

متى الساعة؟ قال: "إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة" قال: كيف إضاعتها؟ قال: "إذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة". يعني إذا فسد الناس وكانت الأمور تسند إلى غير أهلها، الفتوى للجاهل، والإمارة للسفيه، والإدارة لمن لا علم له بالإدارة وهكذا.

والخلاصة: أنه إذا فسد الناس فانتظر الساعة، لأن الساعة تقوم على شرار الخلق، ففي هذا تحذير من تضييع الأمانة وأنه يجب أن يولى المناصب الأهل فالأهل، لأن هذا مقتضى الأمانة.

أما الحديث الثالث: فهو أن النبي ﷺ أخبر أن هناك أئمة يعني أمراء يصلون لكم فإن أحسنوا فلكم ولهم، وإن أساءوا فلكم وعليهم.

وهذا وإن كان في الأمراء يشمل أيضًا أئمة المساجد. "يصلون لكم" فإن أحسنوا في الصلاة وأتوا بها على ما ينبغي فذلك لكم ولهم، وإن أساءوا فلكم وعليهم، يعني ليس عليكم أنتم من إساءتهم من شيء، بل الإساءة عليهم، وفي هذا إشارة إلى أنه يجب الصبر على ولاة الأمر وإن أساءوا في الصلاة، وإن لم يفعلوها في أول وقتها - فإن الواجب أن لا نشاذهم أو ننابذهم، فإن هم أخَّروا الصلاة عن أول وقتها فحينئذٍ يكون تأخيرنا للصلاة عن أول وقتها بعذر لأجل موافقة الجماعة وعدم الشذوذ.

وفي هذا إشارة على أن الشذوذ عن ولاة الأمور والبُعد عنهم وإثارة الناس عليهم، ونشر مساوئهم كل هذا مجانب للدين الإسلامي، فالدين

الإسلامي يأمر بالخير والعدل، وينهى عن الشر والفساد، حتى إن الله قال: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ﴾ أي بالعدل [المائدة: ٨]. إذا ذكرت سيئة، فاذكر الحسنة أما أن تسعد بذكر السيئات وتجحد الحسنات فهذا جور وظلم، والله عزَّ وجلَّ لا يحب الجور" ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ [المائدة: ٨].

أما الحديث الرابع: لأبي هريرة: "عجب الله لقوم يقادون إلى الجنة بالسلاسل" وفسره المؤلف الحافظ النووي - رحمه الله - بأنهم قوم من الكفار يؤسرون ثم يسلمون فيكون هذا الأسر سببًا في إسلامهم ودخولهم الجنة. والله الموفق.

* * *

١٨٤١ - وعَنْهُ عَنِ النَّبيِّ ﷺ قَالَ: "أَحَبُّ البِلَادِ إِلى اللهِ مَسَاجِدُهَا، وأَبْغَضُ البلادِ إلى الله أسواقُها[١]" رواه مسلم.

١٨٤٢ - وعَنْ سَلْمَانَ الفارسيِّ رضي الله عنه مِنْ قَوْلِه قَالَ: لا تَكُونَنَّ إنِ استَطَعْتَ أَوَّلَ مَنْ يَدْخُلُ السُّوقَ، وَلا آخرَ مَنْ يخرجُ مِنْهَا، فإنَّها معركةُ الشَّيْطَان، وبِهَا يَنْصَبُ رايتَهُ[٢]. رواه مسلم هكذا.

---

(١) رواه مسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب فضل الجلوس في مصلاه بعد الصبح وفضل المساجد، رقم(١٠٧٦).

(٢) رواه مسلم: كتاب فضائل الصحابة، باب من فضل أم سلمة أم المؤمنين رضي الله عنها، رقم(٤٤٨٩).

ورواه البرقاني في صحيحه عن سلمان قالَ: قال رسول الله ﷺ: "لا تُكُنْ أَوَّلَ من يدخلُ السُّوق، ولا آخر من يَخْرُجُ منها، فيها بَاضَ الشَّيْطَانُ وفَرَّخَ[١]".

١٨٤٣ - وعَنْ عاصِمِ الأَحْوَلَ عَنْ عَبْدِ الله بْنِ سَرْجِسَ رضي الله عنه قَالَ: قُلْتُ لِرَسُولِ الله ﷺ: يَا رَسُولَ الله غَفَرَ اللهُ لَكَ، قَالَ: "وَلَكَ" قَالَ عَاصِمٌ: فَقُلْتُ لَهُ: أَسْتَغْفَرَ لَكَ النبي ﷺ؟ قال: نَعَمْ ولَكَ، ثُمَّ تَلاَ هذه الآية: ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ [محمد: ١٩].[٢] رواه مسلم.

١٨٤٤ - وَعَنْ أبي مسْعُودٍ الأنْصَارِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ النبيُّ ﷺ: "إنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كلامِ النُّبُوَّةِ الأولى: إذَا لم تَسْتَحي فَاصْنَعْ ما شِئْتَ[٣]" رواه البخاري.

الشـــرح

هذه الأحاديث من الأحاديث المنثورة التي ختم كتابه بها الحافظ النووي - رحمه الله - منها حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: "أحب البلاد إلى الله مساجدها وأبغض البلاد إلى الله أسواقها" فالمساجد مساجد الله عزَّ وجلَّ، ولهذا أضافها الله تعالى فقال: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ

(١) رواه الطبراني في المعجم الكبير: (٦/ ٢٤٨)، والديلمي في مسند الفردوس: (٥/ ٧١)، والبيهقي في شعب الإيمان (٧/ ٣٧٩)، والهيتمي في مجمع الزوائد (٤/ ٧٧).

(٢) رواه مسلم: كتاب الفضائل، باب إثبات خاتم النبوة وصفته ومحله من حسبك، رقم(٤٣٢٩).

(٣) رواه البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث الغار، رقم(٣٢٢٤).

مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ﴾ [البقرة: ١١٤]. وقال تعالى: ﴿فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ﴾ [النور: ٣٦].

فالمساجد أحب البقاع إلى الله، لأنها محل ذكره وعبادته وقراءة شرعه وغير ذلك من المصالح الدينية والدنيوية، ولهذا كان بذل المال فيها من أفضل أنواع البذل، والبذل فيها من الصدقة الجارية وهي أفضل من أن يجعل الإنسان كنوزه في أضحية أو عشاء أو ما أشبه ذلك فإذا جعل كنوزه في بناء المساجد وعمارتها كان ذلك أفضل لأن المساجد صدقة جارية باقية وصدقة عامة، فكل المسلمين ينتفعون بها، المصلون والدارسون والمتعلمون والمعلمون والذين أواهم البرد أو الحر إلى المساجد إلى غير ذلك، أما الأسواق فإنها مأوى الشياطين فيه باض الشيطان وفرخ والعياذ بالله ونصب رايته وخيمته لأن أسواق البيع والشراء الغالب فيها – إلا ما شاء الله- الكذب والغش والخيانة والحلف وما أشبه ذلك، فلهذا كانت أبغض البلاد إلى الله – عزَّ وجلَّ – وفي هذا الحديث إثبات الحب والبغض لله- عزَّ وجلَّ – أي أن الله يحب ويبغض، ومن أصول أهل السنة والجماعة أننا نؤمن بذلك ونقول: إن الله تعالى – يحب ويبغض وهو سبحانه تعالى – موصوف بصفات الكمال وهو لا يحب إلا ما فيه الخير والصلاح ولا يبغض إلا الشر، وينبغي أيضًا كما جاء في حديث سلمان رضي الله عنه ألا نكون أول من يدخلها ولا آخر من يخرج منها – بل يدخل إليها ويقضي حاجته ويتصرف – إنها أبغض البلاد إلى الله ويحصل فيها اختلاط بين الرجال والنساء والنظرات المحرمة، والكلام المحرم وما أشبه ذلك.

أما حديث عبد الله بن سرجس رضي الله عنه فهو أنه سأل النبي ﷺ أن يستغفر له فأجابه النبي ﷺ قال: استغفر لي يا رسول الله فأجابه، وفي هذا دليلٌ على أن النبي ﷺ ليس كغيره - أي يسأل منه الدعاء - فيقال: يا رسول الله استغفر لي، وهذا في حياته أما بعد موته فلا يجوز، ومن يفعل هذا فهو مشرك كافر، وقد أمر الله نبيه أن يستغفر لذنبه وللمؤمنين والمؤمنات فقال ﴿ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ﴾ [محمد: ١٩]. والمغفرة هي أن الله تعالى يستر العبد ولا يطلع الناس على ذنبه ويعفو عنه ويتجاوز عنه لأنها مأخوذة من الستر والوقاية وهي المغفرة.

* * *

١٨٤٥ - وعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ النبيُّ ﷺ: "أَوَّلُ ما يُقضَى بَيْنَ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي الدِّمَاءِ"(١) متفق عليه.

الشـــرح

هذا الحديث من الأحاديث المنثورة التي ذكرها الحافظ النووي - رحمه الله - منها حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: "أول ما يقضى بين الناس يوم القيامة في الدماء" وذلك أن الله تعالى - يفصل بين العباد ويحكم بينهم، أما فيما بينهم وبين الله فحكمه دائر بين العدل والفضل: إما أن

---

(١) رواه البخاري: كتاب الرقاق، باب القصاص يوم القيامة، رقم(٦٠٥٢)، ومسلم: كتاب القسامة والمحاربين والقصاص والديات، باب المجازاة بالدماء في الآخرة، رقم(٣١٧٨).

يجازي بالعدل وإما بالفضل، وأما فيما بين الناس بعضهم مع بعض فيجازي بالعدل فكل إنسان منهم يعطى حقه بدون نقص ولا زيادة.

فأول ما يحاسب عليه العبد من حقوق الله الصلاة فإن كان أحسنها فقد أفلح وأنجح، وإن كان قد ضيعها فهو لما سواها أضيع لأن من ضيع الصلاة فلا أمر له بالمعروف ولا نهي عن المنكر كما قال تعالى: ﴿ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥]. أما فيما بين العباد فأول ما يقضى بينهم في الدماء – القتل – ثم الأموال والأعراض، والقتل تارة يكون بحق وتارة يكون بغير حق، والمقصود بذلك القتل بغير حق فهذا هو أول ما يقضى فيه بين الناس يوم القيامة.

وفي هذا الحديث إثبات القضاء يوم القيامة وأنه حق، وأنه لابد أن يعطى كل مظلوم مظلمته لكن هاهنا مسألة وهي: يأتي إنسان إلى شخص يكون قد ظلمه بغيبة أو قذف أو ما أشبه ذلك، ثم يطلب منه السماح بعد أن تاب إلى الله وندم، فيقول لصاحب الحق: اسمح لي أنا مذنب وأنا الآن أستغفر الله وأتوب إليه فاسمح لي ويعتذر، ولكن صاحب الحق لا يقبل ويقول لا أسمح، أنا أريد حقي يوم القيامة! فهنا نقول: إذا علم الله من العبد صحة التوبة فإن الله تعالى يتحمل عنه حق هذا الآدمي الذي أبى أن يسامحه، ومثل ذلك أيضًا المال لو أن إنسانًا كان بينك وبينه مشاجرة وجحدت ماله،

وكان في ذمتك له مال، لكنك جحدته ثم بعد ذلك تبت إلى الله وأقررت به، وذهبت إليه وقلت: يا فلان أنا جحدتك حقك في الأول، والآن أنا تائب إلى الله ونادم خذ مالك. ولكنه قال لا آخذه وبيني وبينك الله يوم القيامة: فهنا نقول: إذا علم الله من نيتك أنك صادق في التوبة فإن الله يتحمل عنك الإثم -يعني يرضي صاحبك- لكن تصدق بهذا المال عنه حتى تبرأ ذمتك منه.

فمثلاً إذا كان حقه مائة ريال، ثم جئت إليه بعد أن ندمت واستغفرت وقلت له: خذ هذه الدراهم - مائة ريال - قال: لا، أريدها من عملك الصالح يوم القيامة وأبى، فحينئذ نقول: إذا علم الله من نيتك أنك صادق فإنك لا تأثم، ويزول عنك الإثم، لكن هذه المائة تصدق بها عن صاحبك تخلصًا منها.

* * *

١٨٤٦ - وَعَن عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: "خُلِقَتِ الملائِكَةُ مِنْ نُورٍ، وخُلِقَ الجانُّ مِنْ مَارِجٍ مِن نَّارٍ، وخُلِقَ آدمُ ممَّا وُصِفَ لَكُمْ[١]" رواه مسلم.

١٨٤٧ - وَعَنْهَا رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالت: "كانَ خُلُقُ نبيِّ الله ﷺ القرآنُ[٢]" رواه مسلم في جملة حديث طويل.

---

(١) رواه مسلم: كتاب الزهد والرقائق، باب في أحاديث متفرقة، رقم(٥٣١٤).

(٢) رواه مسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب جامع صلاة الليل، رقم(١٢٣٣).

١٨٤٨ – وعَنْهَا قالتْ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: مَنْ أحبَّ لقاءَ الله أحبَّ اللهُ لقاءَهُ، وَمَنْ كرهَ لقاءَ الله كره الله لقاءه" فَقُلتُ: يا رسول الله، أكراهية الموت؟ فكُلُّنَا نكرهُ الموت! قال: "ليس كذلك، ولكنَّ المؤمن إذا بُشِّر بِرَحْمَةِ الله ورِضْوَانه وجنَّتِه أحبَّ لقاءَ الله، فأحبَّ اللهُ لقاءهُ. وإنَّ الكافِرَ إذا بُشِّر بِعَذَابِ الله وسَخَطِهِ، كرِه لقاءَ الله، وكره اللهُ لقاءهُ[1]" رواه مسلم.

الشـــرح

هذه الأحاديث من الأحاديث المنثورة فحديث عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ أخبر عن بدء الخلق فذكر ﷺ أن الملائكة خلقوا من النور، ولذلك كانوا كلهم خيرًا، لا يعصون الله، ولا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون، يسبحون الليل والنهار لا يفترون، فالملائكة خلقوا من نور، أما الشياطين – الجن – فقال: إنهم خلقوا من نار.

وفي هذا دليلٌ على أن الجن هم ذرية الشيطان الأكبر الذي أبى أن يسجد لآدم وقال: ﴿ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴾ [الأعراف: ١٢]. فالجن كلهم مخلوقون من النار، ولهذا كثر منهم الطيش والعبث والعدوان على كل من يستطيعون العدوان عليه، لكن مَنْ قرأ آية الكرسي في ليلة فلا يزال عليه من الله حافظ ولا يقربه الشيطان حتى يصبح.

"وخلق آدم مما ذكر لكم": يعني خلق من طين، من تراب، من

---

(١) رواه مسلم: كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب من أحب لقاء الله أحب الله لقاء، رقم(٤٨٤٥).

صلصال كالفخار، لأن التراب صار طينًا ثم صار فخارًا فخلق منه آدم – عليه الصلاة والسلام – ولهذا قال الله تعالى: ﴿ مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴾ [طه: ٥٥].

وحديثها الثاني – رضي الله عنها – قالت: "كان خلق النبي ﷺ القرآن" يعني أنه يتخلق بأخلاق القرآن، ما أمر به القرآن قام به، وما نهى عنه القرآن اجتنبه، سواء كان ذلك في عبادات الله أو في معاملة عباد الله، فخلق النبي ﷺ القرآن، وفي هذا إشارة من أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أننا إذا أردنا أن نتخلق بأخلاق الرسول ﷺ فعلينا أن نتخلق بأخلاق القرآن؛ لأنها هي أخلاق النبي ﷺ.

وحديثها الثالث: رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: "من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه" فقالت عائشة رضي الله عنها: أكراهية الموت يا رسول الله، فكلنا يكره الموت؟! قال: "ليس كذلك" فأخبر النبي ﷺ أن الإنسان إذا أحب لقاء الله .أحب الله لقاءه، وذلك أن المؤمن يؤمن بما أعد الله للمؤمنين في الجنة من الثواب الجزيل والعطاء العميم الواسع، فيحب ذلك وترخص عليه الدنيا ولا يهتم بها، لأنه سوف ينتقل إلى خير منها فحينئذ يحب لقاء الله ولا سيما عند الموت إذا بشر بالرضوان والرحمة فإنه يحب لقاء الله – عزَّ وجلَّ – ويتشوق إليه فيحب الله لقاءه.

أما الكافر – والعياذ بالله– فإنه إذا بشر بعذاب الله وسخطه كره لقاء الله، فكره الله لقاءه، ولهذا جاء في حديث المحتضر: أن نفس الكافر إذا بشرت بالغضب والسخط تفرقت في جسده وأبت أن تخرج، ولهذا تنزع نفسه–

روحه – من جسده كما ينزع الشعر من الصوف المبلول، بمعنى: أنه يكره على أن تخرج روحه، وذلك لأنه يبشر – والعياذ بالله – بالشر، ولهذا قال الله تعالى: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُ ﴾ [الأنعام: ٩٣]، فهم شحيحون بأنفسهم – والعياذ بالله – لا يريدون أن تخرج ولكن الملائكة تقول "أخرجوا أنفسكم" فإذا بشرت تفرقت في الجسد فتنتزعها الملائكة كما ينتزع السفود من الصوف المبلول – والعياذ بالله – حتى تخرج.

والحاصل: أن المؤمن يحب لقاء الله، لأنه يحب الله عزَّ وجلَّ، يحب ثوابه، يحب جنته، يحب النعيم، فهو يحب لقاء الله ولاسيما عند الموت فيحب الله لقاءه – اللهم اجعلنا ممن يحب لقاءك يا رب العالمين وأحسن لنا الختام إنك على كل شيء قدير.

* * *

١٩٤٩ – وعَنْ أمِّ المؤمنين صفيَّةَ بِنْتِ حُيِّ رَضِي اللهُ عَنْهَا قَالتْ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ مُعْتَكِفًا فأتيتُه أزورُهُ لَيْلاً، فحدَّثْتُه ثُمَّ قُمْتُ لأَنقَلِبَ، فَقَام مَعي ليقلِبَني، فمرَّ رَجُلانِ مِنَ الْأَنْصارِ رَضِي اللهُ عَنْهَا، فَلَمَّا رَأَيَا النبي ﷺ أسرعا. فقال ﷺ: "عَلَى رِسْلِكُما إِنَّها صَفِيَّةُ بِنْتُ حُيَيٍّ" فَقَالا: سُبْحَانَ الله يَا رَسُولَ الله فَقَالَ: "إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِن ابْنِ آدمَ مَجْرَى الدَّمِ. وَإِنِّي خَشِيتُ أَنْ

يَقْذِفَ فِي قُلُوبِكُمَا شَرًّا – أو قال: شيئًا –[1]" متفق عليه.

الشرح

هذا الحديث ذكره المؤلف – رحمه الله – عن حديث صفية بنت حيي رضي الله عنها أم المؤمنين: أن النبي ﷺ كان معتكفًا في المسجد في رمضان – ولا اعتكاف إلا في رمضان – لأن النبي ﷺ لم يعتكف في غير رمضان إلا سنة واحدة فاتته العشر في رمضان فقضاها في شوال، وما عدا ذلك فلم يشرع لأمته ﷺ أن يعتكفوا في غير رمضان، وإنما كان الاعتكاف من أجل تحري ليلة القدر، فقد كان النبي ﷺ يعتكف العشر الأول من رمضان رجاء ليلة القدر، ثم الأوسط، ثم قيل له: إنها في العشر الأواخر فواظب على الاعتكاف في العشر الأواخر.

وأما حديث عمر رضي الله عنه أنه سأل النبي ﷺ أنه نذر – أي عمر – أن يعتكف ليلة أو يومًا في المسجد الحرام فقال: "أوف بنذرك" فهذا لا يدل على أن الاعتكاف مشروع وإنما يدل على وفاء النذر بالاعتكاف، وأنه ليس بمعصية لو أوفى بنذره فيه، لكن السنة أن الاعتكاف يكون في رمضان فقط، وفي العشر الأواخر منه فقط، اعتكف ﷺ في العشر الأواخر.

والاعتكاف هو: لزوم المسجد في طاعة الله، ليتفرغ الإنسان للعبادة، وليس لغير ذلك كما قد يفعله بعض المعتكفين من إضاعة الوقت عليهم في

---

(١) رواه البخاري: كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده، رقم(٣٠٣٩)، ومسلم: كتاب السلام، باب بيان أنه يستحب لمن رئي خاليا بامرأة، رقم(٤٠٤١).

الكلام أثناء جلوسهم خلافًا لمقصدهم في هذه العبادة.

جاءته صفية ذات ليلة – وهو معتكف – فحدثته وهي امرأته ولا بأس للإنسان أن يتحدث إليه أهله وهو معتكف، فذلك من الألفة والمحبة والمودة ثم قامت إلى بيتها وكان النبي ﷺ خير الناس بأهله كما قال ﷺ: "خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي[1]" فقام معها يشيعها إلى بيته فإذا برجلين من الأنصار يمران، فلما رأيا رسول الله ﷺ خجلا واستحييا، فأسرعا في مشيهما، فقال النبي ﷺ: "على رسلكما" يعني: لا تسرعا "إنها صفية بنت حيي" لئلا يظنا أنها امرأة جاءت لرسول الله ﷺ في الليل وهو محل السكن وإيواء البيوت، فقالا: سبحان الله! تعجبا أن يقول الرسول ﷺ هذا الكلام، فقال النبي ﷺ: "إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم" فيصل إلى قلبه وإلى عروقه كما أن الدم يسير في جميع البدن، كذلك الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم، ومجرى هذا اسم مكان: أي في مكان جريان الدم. "وإني خشيت أن يقذف في قلوبكما شرًّا أو قال: شيئًا".

ففي هذا الحديث فوائد:

منها: حسن خلق النبي ﷺ في معاملة أهله.

ومنها: جواز زيارة المرأة زوجها في الاعتكاف، وأن ذلك لا يبطل الاعتكاف حتى لو فرض أنه تلذذ بالنظر إليها وما أشبه ذلك فإنه لا يضر، لأن الله إنما نهى عن مباشرة النساء في الاعتكاف.

---

(١) رواه الترمذي: كتاب المناقب، باب فضل أزواج النبي ﷺ، رقم(٤٣٨٣٠)، وابن ماجه: كتاب النكاح، حسن معاشرة النساء، رقم(١٩٦٧).

ومنها: أنه ينبغي للإنسان أن يشيع أهله إذا انقلبوا من عنده إذا كان ذلك ليلاً أو في وقت يخاف فيه عليهم.

ومنها: أنه ينبغي للإنسان أن يزيل أسباب الوساوس من القلوب، فمثلاً: إذا خشي أن أحدًا يظن به شرًّا فإنه يجب عليه أن يزيل ذلك عنه ويخبره بالواقع حتى لا يحدث في قلبه شيء.

ومنها: أنه إذا حدث للإنسان ما يتعجب منه فليقل: سبحان الله، كما قال ذلك الأنصاريان وأقرهما النبي ﷺ.

ومنها: شفقة النبي ﷺ على أمته، ودرء الشر عنهم.

* * *

١٨٥٠ - وَعَنْ أبي الفَضْلِ العَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ المطَّلِبِ رضي الله عنه قَالَ: شَهِدْتُ مَعَ رَسُولِ الله ﷺ يَوْمَ حُنَيْنٍ فَلَزِمْتُ أَنَا وَأَبُو سُفْيَانَ بْنَ الحَارِثِ بْنِ عَبْدِ المطَّلِب رَسُولَ الله ﷺ. فَلَمْ نُفَارِقْهُ وَرَسُول الله ﷺ عَلَى بَغْلَةٍ لَهُ بَيْضَاءَ، فَلَمَّا التقَى المسْلِمُونَ والمشْرِكُونَ ولَّى المسْلِمُونَ مُدْبِرين، فَطَفِقَ رَسُولُ الله، يُرْكِضُ بَغْلَتَه قِبَلَ الكفَّار، وأنا آخِذٌ بِبَغْلةِ رَسُولِ الله ﷺ أَكُفُّها إِرَادَةَ أَنْ لَا تُسْرِع، وَأَبُو سُفْيَانَ آخِذٌ بركابِ رَسُولِ الله ﷺ فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: "أي عَبَّاسُ نَادِ أَصْحَابَ السَّمُرةِ" قَالَ العَبَّاسُ، وَكَان رَجُلاً صَيِّتًا: فَقُلْتُ بِأَعْلَى صَوْتِي: أَيْن أَصْحَابُ السَّمُرَةَ" فوالله لكأنَّ عطْفَتَهُمْ حِين سَمِعُوا صَوْتِي، عطفةُ البَقرِ عَلَى أَوْلَادِها، فَقَالُوا: يَا لَبَّيْكَ يا

لبيك، فاقْتَتَلُوا هُمْ والكُفَّارُ، والدَّعْوةُ فِي الْأَنْصَارِ يَقُولُونَ: يَا مَعْشَر الأنصارِ، يَا مَعْشَر الأنصارِ، والدعوةُ على بني الحارث بن الخزرج.

فَنَظَرَ رَسُولُ الله ﷺ وَهُوَ عَلَى بغلَتِهِ كالمُتَطَاوِلِ عَلَيْهَا إلى قِتَالِهِمْ فَقَالَ: "هَذَا حِينَ حَمِيَ الْوَطِيسُ" ثُمَّ أَخَذَ رَسُولُ الله ﷺ حَصَيات، فَرَمَى بِهِنّ وُجُوهَ الكفَّار، ثُمَّ قَالَ: "انهزمُوا وربِّ محمد"، فذَهبتُ أَنْظُرُ فإذا القِتَالُ عَلَى هَيْئَتِهِ فِيما أَرَى، فوالله مَا هُو إلّا أَنْ رمَاهُمْ بحصيَاتِهِ، فَما زِلْتُ أَرَى حدَّهُم كَلِيلاً، وأَمْرَهُمْ مُدْبِرًا[1]. رواه مسلم.

"الْوَطِيسُ" التنُّور. وَمَعناه: اشتدتِ الحرْبُ. وقوله: "حَدَّهُمْ" هو بالحاء المهملة أي: بأسهم.

الشـــرح

حديث العباس رضي الله عنه في قصة حنين. وحنين: هي اسم مكان غزا به النبي ﷺ "ثقيفًا" وكان الصحابة رضي الله عنهم قد فتحوا مكة في رمضان في السنة الثامنة من الهجرة، ومعهم عشرة آلاف من خارج مكة وألفان من أهل مكة، فالجميع اثنا عشر ألفًا، فجعل بعضهم يقول لبعض: لن نغلب اليوم من قلة، أعجبوا بكثرتهم ، ولكن الله تعالى – أراهم أن النصر من عند الله، وأن الكثرة والقوة لا تحولان بين قضاء الله وقدره.

قابلوا ثقيفًا وكانت ثقيف "ثلاثة آلاف وخمسمائة نفر"، والمسلمون اثنا عشر ألفًا ومعهم الرسول ﷺ فكمنت لهم ثقيف في وادي حنين، ومعلوم أنه

---

(١) رواه مسلم: كتاب الجهاد والسير، باب في غزوة حنين، رقم(٣٣٢٤).

إذا كمنوا لهم ثم تقدم بعضهم وتأخر آخرون سوف تحدث الهزيمة، انهزم الصحابة رضي الله عنهم وولوا، ولم يبق مع الرسول ﷺ من اثني عشر ألفًا إلا نحو مائة رجل، كما قال الله تعالى: ﴿ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴾ [التوبة: ٢٥]. ولكن محمدًا ﷺ الذي أعطاه الله تعالى الشجاعة العظيمة، والإقدام في موضع الإقدام جعل يركض بغلته نحو العدو وهو يقول ﷺ: "أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب" – يعلمهم عليه الصلاة والسلام – وأمر العباس رضي الله عنه وكان رجلاً جهوري الصوت – أن ينادي الصحابة ليرجعوا، فجعل ينادي: يا أصحاب السمرة.. يا أصحاب السمرة: يا أصحاب السمرة أقبلوا.. هلموا.

والسمرة هي الشجرة التي بايع الصحابة عليها رسول الله ﷺ في الحديبية على ألا يفروا – وهم فروا الآن – فقال: يا أصحاب السمرة يذكرهم بهذه المبايعة، وهذه السمرة شجرة بايع النبي ﷺ تحتها الصحابة على ألا يفروا أبدًا، وفيها يقول الله تعالى: ﴿ لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ ﴾ [الفتح: ١٨]. فأخبر الله تعالى أنهم رضي الله عنهم، وأخبر النبي ﷺ "أنه لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة" بشرى عظيمة أنهم لا يدخلون النار لا قليلاً ولا كثيرًا.

فدعاهم العباس رضي الله عنه بهذا – يا أصحاب السمرة –، قالوا: لبيك.. لبيك، وأقبلوا كأنهم عطفة البقر على أولادها الصغار يعني مسرعين جدًّا، فقاتلوا العدو، وأخذ النبي ﷺ حصيات رمى بها وجوه القوم، وقال:

انهزموا ورب محمد، وصار الأمر كذلك، وانهزمت ثقيف وغنم منها النبي ﷺ غنائم كثيرة كثيرة جدًّا ما بين إبل وغنم وأموال.

فالحاصل أن هذا الحديث من آيات الله - عزَّ وجلَّ - حيث نصر الله المؤمنين بعد أن أراهم قوته وأن الأمر أمره - جلَّ وعلا - ليس بالكثرة ولا بالقوة ولا بالعزيمة ولكن النصر من عند الله - عزَّ وجلَّ - قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ﴾ [التوبة: ٢٥ - ٢٧].

وفي هذا الحديث من الفوائد:

منها: شجاعة وجرأة النبي ﷺ حيث تقدم إلى العدو بقوله وفعله، أما فعله فإنه جعل يركض بغلته - التي هو راكب عليها - نحو العدو، وأما قوله: فإعلانه بصوته الرخيم "أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب".

ومنها: أنه يجب على الإنسان ألا يعجب بقوته ولا بكثرته ولا بعلمه ولا بماله ولا بذكائه ولا بعقله. والغالب أن الإنسان إذا أعجب فإنه يهزم بإذن الله: إن أعجب بكثرته هزم، وإن أعجب بعلمه ضل، وإن أعجب بعقله تاه، لا تعجب بنفسك ولا بأي قوة من قواك، بل استعن بالله - عزَّ وجلَّ - وفوض الأمر إليه حتى يتم لك ما تريد.

ومنها: جواز ركوب البغلة، والبغل متولد من بين الحمار والفرس، ينزو الحمار على الأنثى من الخيل فتلد البغل وهو نجس وحرام، لكنه طاهر في ظاهره كالهرة طاهرة ولكن بولها وعذرتها نجسة، وكذلك البغل فعرقه طاهر، ومسه حال ركوبه طاهر، لأن النبي ﷺ ركبه وهو يعرق، وقد يكون المطر، ولم يرد أن النبي ﷺ كان يتحرز منه، فدل ذلك على أنه طاهر وهو القول الراجح.

ومنها: أنه ينبغي للإنسان أن ينادي الناس بما يشجعهم، لأن العباس لم يقل: يا أيها المؤمنون، يا أيها الصحابة بل قال: يا أصحاب السمرة، لأن هذا يشجعهم ويذكرهم بالبيعة التي بايعوا عليها رسول الله ﷺ.

ومنها: أن الله تعالى قد ينصر الفئة القليلة - ولو على باطل - على الفئة الكثيرة ولو على حق. والفئة القليلة هنا الكفار - ثلاثة آلاف وخمسمائة - والفئة الكثيرة: الصحابة: رضي الله عنهم ومعهم رسول الله ﷺ لكن يستفاد من هذا فائدة أيضًا: أن العاقبة للمتقين حتى لو هزم المسلمون بكثرتهم، فإن العاقبة لهم، لأن الله تعالى يقول: ﴿ فَٱصْبِرْ ۖ إِنَّ ٱلْعَـٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [هود: ٤٩]، والله الموفق.

* * *

١٨٥٢ - وَعَنْهُ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: "ثَلَاثَةٌ لا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَلَا يُزَكِّيهِمْ، ولا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ ولَهُمْ عذابٌ أليمٌ:

شَيْخٌ زانٍ، وَمَلِكٌ كَذَّابٌ، وعَائِلٌ مُسْتَكْبِرٌ"[١] رواه مسلم "العَائِلُ": الفقير.

الشــرح

ساق المؤلف – رحمه الله تعالى – من الأحاديث المنثورة ما نقله عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: "ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولا ينظر إليهم ولهم عذاب أليم" كان من عادة النبي ﷺ وحسن بلاغته وبيانه أنه يذكر أحيانًا الأشياء مفصلة محددة حتى يسهل حفظها وفهمها أحيانًا يقول: ﷺ: "ثلاثة لا يُكَلِّمُهُمُ الله يوم القيامة" وأحيانًا يقول: "**اثنتان في الناس**[٢]" وأحيانًا يقول: "سبعةٌ يُظِلُّهُمُ الله فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ[٣]" وأشباه ذلك كثيرة، لأن الشيء إذا فصل وحدد في العدد صار أضبط للإنسان وأقرب إلى الفهم ولا ينسى.

"وثلاثة": يعني ثلاثة أصناف، وليس المراد ثلاثة أفراد بل ثلاثة أصناف من الناس: "لا يكلمهم الله يوم القيامة" تكليم رضا، وإلا فإنه – عزَّ وجلَّ – يتكلم تكليم غضب حتى يكلم أهل النار لما قالوا: ﴿ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴾ [المؤمنون: ١٠٧]. قال لهم: ﴿ ٱخْسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴾ [المؤمنون: ١٠٨].

---

(١) رواه مسلم: كتاب الإيمان، باب بيان غلظ تحريم إسبال الإزار والمن بالعطية، رقم(١٥٦).

(٢) رواه مسلم: كتاب الإيمان، باب إطلاق اسم الكفر على الطعن في النسب والنياحة، رقم(١٠٠).

(٣) رواه البخاري: كتاب الأذان، باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة، رقم(٦٢٠)، ومسلم: كتاب الزهد، باب ما جاء في الحب في الله، رقم(٢٣١٣).

لكن المراد كلام الرحمة والرضا، فهؤلاء الثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم: أي نظر رحمة وإشفاق وإكرام وعزة بل يذلهم - عزَّ وجلَّ -. "ولا يزكيهم" : أي لا يجعل لهم زكاء بل هم في شقاء دائم - والعياذ بالله -.

الأول: "شيخ زان"؛ يعني كبير السن زان، هذا - والعياذ بالله - زناه أشد من زنا الشاب، لأن دواعي الشهوة فيه ضعيفة على عكس الشاب فدواعي الشهوة فيه قوية قد تغلبه الشهوة على ما في فطرته من كراهة الزنا وبغضه، لكن الشيخ ميت الشهوة، فإذا زنا الشيخ - والعياذ بالله - وهو الكبير دل ذلك على فساد طويته، وأنه يحب الزنا لأنه زنا، لا لقوة شهوة عنده.

الثاني: "ملك كذاب": الملك هو حاكم، له السلطة إذا قال فعل، ولهذا قال ابن الوردي في لاميته المشهورة:

جانب السلطان واحذر بطشه لا تخاصم من إذا قال فعل

فالسلطان يقول وينفذ ويفعل ولا حاجة له إلى الكذب، وإنما عامة الرعية ربما يحتاج الواحد منهم إلى الكذب لينقذ نفسه، لكن السلطان الملك ليس له حاجة إلى الكذب، فإذا كذب فهو من الذين لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم - والعياذ بالله -.

الثالث: **"عائل مستكبر"**: عائل يعني: فقير، سبحان الله! فقير ويستكبر على الناس: فالغني ربما يستكبر لغناه كما قال - عزَّ وجلَّ -: ﴿كَلَّآ

إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴾ [العلق: ٦ – ٧]. لكن الفقير ليس له سبب يستكبر به على الناس فإذا استكبر دل ذلك على خبثه وخبث طويته، وأنه رجل طبع على الكبرياء – والعياذ بالله –.

* * *

١٨٥٣ – وعَنْهُ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: "سَيْحَانُ وجَيْحَانُ والفُراتُ والنِّيلُ كُلٌّ من أنهارِ الجنة[١]". رواه مسلم.

١٨٥٤ – وَعَنْهُ قَالَ: أَخَذَ رَسُولُ الله ﷺ بِيَدِي فَقَالَ: "خَلَقَ اللهُ التُّرْبَةَ يَوْمَ السبْتِ، وَخَلَقَ فِيها الجِبَالَ الأحدَ، وَخلَق الشَّجَرَ يَوْم الإِثْنَيْنِ، وَخَلَقَ المَكْرُوهَ يَوْمَ الثُّلاثَاءِ، وَخَلَقَ النُّورَ يَوْمَ الأَرْبِعَاءِ، وبَثَّ فِيها الدَّوابَّ يَوْمَ الخَمِيسِ، وَخَلَقَ آدمَ ﷺ بَعْدَ الْعَصْرِ مِنْ يَوْم الجُمُعَةِ فِي آخر الخلْقِ في آخر ساعةٍ من النَّهَارِ فِيمَا بَيْنَ العصْرِ إلى الليل[٢]" رواه مسلم.

الشـــرح

قال المؤلف – رحمه الله تعالى – في آخر كتابه من الأحاديث المنثورة ما نقله عن أبي هريرة عن النبي ﷺ فقال: "سيحان وجيحان والنيل والفرات كل من أنهار الجنة" هذه أربعة أنهار في الدنيا وصفها النبي ﷺ بأنها من أنهار

(١) رواه مسلم: كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب ما في الدنيا من أنهار الجنة، رقم(٥٠٧٣).

(٢) رواه مسلم: كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب ابتداء الخلق وخلق آدم عليه السلام، رقم(٤٩٩٧).

الجنة، فقال بعض أهل العلم: إنها من أنهار الجنة حقيقة، لكنها لما نزلت إلى الدنيا غلب عليها طابع أنهار الدنيا، وصارت من أنهار الدنيا، لأن أنهار الجنة أربعة ﴿فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى﴾ [محمد: ١٥] وهذه الأنهار الأربعة في الجنة لا نعلم كيفيتها ولا طعمها لأن النبي ﷺ قال في الجنة عن ربه – عزَّ وجلَّ – في الحديث القدسي: "أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر" لكن سيحان وجيحان والنيل والفرات معلومة وهي تأسن، تتغير مع طول المدة، فللعلماء فيها تأويلان:

الأول: أنها من أنهار الجنة حقيقة لكن لما نزلت إلى الأرض صار لها حكم أنهار الدنيا.

والثاني: أنها ليست من أنهار الجنة حقيقة لكنها أطيب الأنهار وأفضلها فذكر النبي ﷺ هذا الوصف لها من باب رفع شأنها والثناء عليها – والله أعلم بما أراد رسوله ﷺ.

أما الحديث الثاني: "خلق الله التربة يوم السبت..." . إلى آخر الحديث.

فهذا الحديث رواه الإمام مسلم – رحمه الله – وقد أنكره العلماء عليه فهو حديث ليس بصحيح ولا يصح عن النبي ﷺ لأنه يخالف القرآن

---

(١) رواه البخاري: كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة، رقم(٣٠٠٥)، ومسلم: كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب....، رقم(٥٠٥٠).

الكريم، وكل ما خالف القرآن الكريم فهو باطل، لأن الذين رووا: نَقَلَةٌ بَشَرٌ يخطئون ويصيبون والقرآن ليس فيه خطأ، كله صواب منقول بالتواتر، فما خالفه من أي حديث كان، فإنه يحكم بأنه غير صحيح وإن رواه من رواه، لأن الرواة هؤلاء لا يتلقون عن رسول الله ﷺ مباشرة لكن بواسطة الإسناد: حدثنا فلان عن فلان إلى رسول الله ﷺ مباشرة لكن القرآن ليس فيه خطأ.

فهذا الحديث مما أنكره أهل العلم – رحمهم الله – على الإمام مسلم – رحمه الله – ولا غرابة في ذلك، لأن الإنسان بشر "مسلم وغير مسلم" كلهم بشر يخطئون ويصيبون، فعلى هذا لا حاجة أن نتكلم عليه، ما دام ضعيفًا فقد كفينا إياه – والله الموفق –.

* * *

١٨٥٥ – وعَنْ أبي سُلَيْمان خَالِدِ بْنِ الوليدِ رضي الله عنه قَالَ: لَقد انْقَطَعَتْ فِي يَدِي يَومَ مُؤتَةَ تِسْعةُ أَسْيافٍ، فَمَا بَقِي في يَدِي إلا صفيحة يمانيَّةٌ"[١] رواه البخاري.

١٨٥٦ – وَعَنْ عَمْرو بْنِ العَاصِ رضي الله عنه أَنَّه سَمِعَ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: "إِذَا حَكمَ الحَاكِمُ، فَاجْتَهد، ثُمَّ أَصابَ، فَلَهُ أجرانِ، وإنْ حَكَمَ واجْتَهَدَ، فأخطأ، فله أجرٌ"[٢]. متفق عليه.

---

(١) رواه البخاري: كتاب المغازي، باب غزوة مؤتة من أرض الشام، رقم(٣٩٣٢).

(٢) رواه البخاري: كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو

١٨٥٧ - وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: "الحُمَّى مِن فَيْحِ جهَنَّمَ فأَبْرِدُوها بالماء[1]" متفق عليه.

١٨٥٨ - وَعَنْهَا رَضِيَ اللهُ عَنْهَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "مَنْ مَاتَ وَعَلَيْهِ صَوْمٌ، صَامَ عَنْه وَلِيُّهُ[2]" مُتَّفَقٌ عليه.

والمختار جوازُ الصَّوْم عَمَّنْ مَاتَ وعليه صومٌ لِهَذَا الحديث، والمُرادُ بالوليِّ: القريب وَراِثًا كان أو غيرَ وارِثٍ.

الشـرح

هذه الأحاديث المتفرقة التي ذكرها النووي - رحمه الله تعالى - فمنها حديث خالد بن الوليد رضي الله عنه أنه انقطع في يده تسعة أسياف في غزوة مؤتة ولم يبق معه إلا صفيحة يمانية.

خالد بن الوليد رضي الله عنه من أشجع الناس، وكان في غزوة أحد في جيش قريش المشركين وهو ممن كروا على الصحابة رضي الله عنهم من خلف جبل أحد وقاتلوا الصحابة وقاتلوا النبي ﷺ هو وعكرمة بن أبي جهل، ثم مَنَّ الله عليهما بالإسلام، فكانا من قواد المسلمين.

أخطأ، رقم(٦٨٠٥)، ومسلم: كتاب الأقضية، باب بيان أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ، رقم(٣٢٤٠).

(١) رواه البخاري: كتاب بدء الخلق، باب صفة النار وأنها مخلوقة، رقم(٣٠٢١)، ومسلم: كتاب السلام، باب لكل داء دواء واستحباب التداوي، رقم(٤٠٩٣).

(٢) رواه البخاري: كتاب الصوم، باب من مات وعليه صوم، رقم(١٨١٦).

وفي قصتهما دليلٌ على كمال قدرة الله - عزَّ وجلَّ - وأنه بيده أَزِمَّة الأمور، وأنه يضل من يشاء، ويهدي من يشاء، فكم من ضال هداه الله، وكم من مهتد أضله الله، - والعياذ بالله -وانظر إلى حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: "إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها، وإن الرجل ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها(1)". يعني الرجل يعمل حتى لا يبقى على أجله إلا ذراع - أي مدة قريبة - ثم يموت فيسبق عليه الكتاب.

وأما الحديث الثاني: حديث عمرو بن العاص رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: "إذا حكم الحاكم فاجتهد فأصاب فله أجران، وإن أخطأ فله أجر".

المراد بالحاكم هنا القاضي، والظاهر أن المفتي مثله، يعني أن الإنسان إذا اجتهد في طلب الحق، وتبين له شيء من الحق ثم أفتى به - أو حكم به - فهو على خير: إن أصاب فله أجران، وإن أخطأ فله أجر واحد. ولا يضيع الله تبارك وتعالى أجر من أحسن عملا، فدل ذلك على أن الإنسان إذا اجتهد وتحرى الحق وبذل وسعه في ذلك فإن الله سبحانه وتعالى يثيبه على هذا: إذا أصاب فله أجران: الأجر الأول على إصابة الحق والثاني على اجتهاده، وإن أخطأ فله أجر واحد وهو الاجتهاد وبذل الوسع والطاقة في طلب الحق.

---

(1) رواه البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء، باب خلق آدم صلوات الله عليه وذريته، رقم(٣٠٨٥)، ومسلم: كتاب القدر، باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه، رقم(٤٧٨١).

وأما الحديث الرابع: حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: "من مات وعليه صيام صام عنه وليه" يعني إذا مات الإنسان وعليه صيام فإنه يصوم عنه وليه، سواء كان نذرًا أو واجبًا في أصل الشرع. فإذا قدر أن رجلاً أفطر في رمضان، لأنه مسافر، ثم تهاون بعد رمضان ولم يقض، لأنه يجوز للإنسان أن يؤخر القضاء إلى شعبان ولكنه مات قبل القضاء فإن وليه - أي وارثه - يصوم عنه من أم أو أب أو ابن أو بنت أو زوجة.

وهذا ليس على سبيل الوجوب بل على سبيل الاستحباب، فإن لم يصم وليه أطعم عنه عن كل يوم مسكينًا. وكذلك لو كان عليه كفارة ومات قبل أن يؤديها مع تمكنه منها فإنه يصوم عنه وليه، وكذلك لو نذر أن يصوم ثلاثة أيام وتمكن من صيامها ومات قبل أن يصوم فإنه يصوم عنه وليه، فإن لم يفعل فإنه يطعم عن كل يوم مسكينًا، والله الموفق.

وأما حديث عائشة رضي الله عنها وهو الحديث الثالث فهو أن النبي ﷺ أخبر أن "الحمى من فيح جهنم فأبردوها بالماء".

الحمى: هي المرض الذي يصيب الإنسان بالحرارة في جسمه، هذه من فيح جهنم، كما قال النبي ﷺ: أما كيف وصل فيح جهنم إلى بدن الإنسان فهذا أمره إلى الله ولا نعرفه، ما ندري، لكن نقول كما قال النبي ﷺ: "إنَّ الحمى من فيح جهنم فأبردوها بالماء"، يعني: صبوا على المريض ماء يبرده، وهذا من أسباب الشفاء لمن أصيب بالحمى، وقد شهد الطب الحديث بذلك، فكان من جملة علاجات الحمى أن الأطباء يأمرون المريض أن يتحمم بالماء وكلما كان أبرد على وجه لا مضرة فيه فهو أحسن وبذلك تزول

الحمى بإذن الله. والله الموفق.

* * *

١٨٥٩ – وعَنْ عوفِ بن مالك بن الطفيل أن عائشة رضي الله عنها حُدِّثَتْ أنَّ عبد الله بن الزُّبير رضي الله عنهما قال في بيع أو عطاء أعطتْهُ عائشةُ رضي الله عنها: والله لَتَنْتَهِينَّ عائشةُ، أو لأحْجُرَنَّ عليها، قالتْ: أهُوَ قَالَ هَذا؟ قالوا: نعمْ، قَالَتْ: هُو لله عليَّ نَذْرٌ أَنْ لا أُكَلِّمَ ابْنَ الزُّبَيْرِ أبدًا، فاستشفع ابن الزُّبير إليها حين طَالَتِ الهِجْرَةُ. فَقَالَتْ: لَا والله لا أُشَفِّعُ فِيهِ أبدًا، ولا أتَحَنَّثُ إِلَى نَذْرِي فلمَّا طَالَ ذَلِكَ عَلَى ابْنِ الزُّبير كَلَّمَ المسْوَرَ بْنَ مخرمة، وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ بن الأَسْود بْنِ عبد يغُوثَ وَقَالَ لَـهُما: أَنْشُدُكُما الله لما أدخلْتُمانِي عَلَى عَائِشَةَ رضي الله عَنْهَا فإنَّها لا يحِلُّ لَها أن تَنْذرَ قَطِيعَتِي، فَأَقْبَلَ بِه المسورُ، وَعَبْدُ الرحمن حتَّى استأذنا عَلَى عائشةَ، فَقَالا: السَّلامُ عليك ورحمةُ الله وبركاته، أَنَدْخُلُ؟ قَالَتْ عائشة: ادخُلُوا. قالوا: كُلُّنا؟ قالت: نعم ادخُلُوا كُلُّكُمْ، ولا تعلم أَنَّ مَعَهُما ابنَ الزبير، فلمَّا دَخَلُوا، دَخَل ابنُ الزُّبَيْرِ الحجَابَ، فاعتنق عائِشَةَ رضي الله عنها وطَفِقَ يُنَاشِدُهَا وَيَبْكِي، وطفِقَ المسْورُ، وعَبْدُ الرحمن يُناشدانِهَا إلا كلَّمَتْهُ وقَبلَتْ منه، ويَقُولَان: إنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَهى عَمَّا قَدْ عَلِمَتْ مِنَ الهجْرَةِ، ولا يحلُّ لمسْلِم أن يَهْجُرَ أخاهُ فَوْقَ ثلاثِ ليالٍ، فلمَّا أَكْثَرُوا عَلَى عائشةَ مِنَ التَّذْكِرَةِ والتَحْرِيج، طَفِقَتْ تُذَكِّرُهُما وَتَبْكِي، وَتَقُول: إني نَذَرْتُ والنَّذْرُ شديدٌ، فلم يَزَالا بها حتى كَلَّمَتِ ابْنَ

الزُّبير، وأعتقتْ في نذْرِهَا ذلك أربعين رقبةً، كانت تَذْكُر نَذْرَهَا بعد ذلك فَتَبْكِي حتى تَبُلَّ دُمُوعُهَا خِمَارَهَا[١]. رواه البخاري.

الشـــرح

هذا حديث عظيم فيه فوائد، ذكره المؤلف - رحمه الله تعالى - في الأحاديث المنثورة.

عن عائشة رضي الله عنها أم المؤمنين وأفضل زوجاته بعد موته، وكانت من كانت في العلم والعبادة والرأي والتدبير، وكان عبد الله بن الزبير وهو ابن أختها أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهم سمع عنها أنها تبرعت وأعطت عطايا كثيرة فاستكثر ذلك منها وقال: لئن لم تنته لأحجرن عليها، وهذه كلمة شديدة بالنسبة لأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، لأنها خالته وعندها من الرأي والعلم والحلم والحكمة ما لا ينبغي أن يقال فيها ذلك القول، والحجر عليها منعها من التصرف في مالها أو التبرع الكبير من مالها، فسمعت بذلك، وأخبرت به، أخبرها بذلك الواشون الذين يشون بين الناس ويفسدون بينهم بالنميمة - والعياذ بالله - والنميمة من كبائر الذنوب وقد حذَّر الله من النمام وإن حلف - فقال: ﴿ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ۝ هَمَّازٍ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٍ ﴾ [القلم: ١٠ - ١١]. ومرَّ النبي ﷺ بالمدينة على قبرين من قبور المسلمين فقال: "إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير[٢]" يعني لا يعذبان في أمر

---

(١) رواه البخاري: كتاب الأدب، باب الهجرة، رقم(٥٦١١).

(٢) رواه البخاري: كتاب الوضوء، باب ما جاء في غسل البول، رقم(٢١١)، ومسلم: كتاب

شاق وأمر صعب بل يسهل بالنسبة للقيام به، لا بالنسبة لعظمه عند الله-.

"أما أحدهما : فكان لا يستنزه من البول" يعني لا يستنجي استنجاءً تامًّا وإذا أصاب البول ثوبه أو بدنه لا يبالي فصار يعذب في قبره.

"وأما الآخر: فكان يمشي بالنميمة" يأتي للناس فيخبر بعضهم بما قال البعض في الآخر من أجل أن يفرق بينهم – والعياذ بالله – فالنميمة من كبائر الذنوب يعذب عليها النمام في قبره، ولا يدخل الجنةَ نمامٌ – نسأل الله العافية .

الحاصل أن هذه الكلمة وصلت إلى عائشة إنه أراد أن يحجر عليها فنذرت رضي الله عنها ألا تكلمه أبدًا، وذلك لشدة ما حصل لها من الانفعال على ابن أختها وهجرته.

ومن المعلوم أن هجر أم المؤمنين رضي الله عنها لابن أختها سيكون شديدًا عليه، فحاول أن يسترضيها ولكنها أصرت، لأنها ترى أن النذر شديد، فاستشفع إليها برجلين من أصحاب رسول الله رضي الله عنهما وفعلا حيلة بأم المؤمنين لكنها حيلة حسنة، لأنها أدت إلى مقصود حسن وهو الإصلاح بين الناس، والكذب في الإصلاح بين الناس باللسان جائز فكيف بالأفعال؟ استأذنا على عائشة رضي الله عنها فسلما عليها، وهذه هي السنة عند الاستئذان أنك إذا قرعت الباب على شخص تقول: السلام عليكم.

ثم استأذناها في الدخول فقالا: ندخل؟ قالت: نعم، قالوا: كلنا، قالت: كلكم، ولم تعلم أن عبد الله بن الزبير رضي الله عنه معهما لكنها لم تقل: هل معكم

الطهارة، باب الدليل على نجاسة البول ووجوب الاستبراء، رقم(٤٣٩).

عبد الله بن الزبير فلم تستفصل وأتت بقول عام: ادخلوا كلكم، فدخلوا، فلما دخلوا عليها وإذا عليها الحجاب: حجاب أمهات المؤمنين وهو عبارة عن ستر تستتر به – أمهات المؤمنين – يراهن الناس وهو غير الحجاب الذي يكون لعامة النساء، لأن الحجاب الذي لعامة النساء هو تغطية الوجه والبدن، ولكن هذا حجاب يكون حاجبًا وحائلاً بين أمهات المؤمنين والناس، فلما دخلا البيت دخل عبد الله بن الزبير الحجاب، لأنه ابن أختها فهي من محارمه فأكب عليها يقبلها ويبكي ويناشدها الله – عزَّ وجلَّ – ويحذرها من القطيعة ويبين لها أن هذا لا يجوز لكنها قالت: النذر شديد، ثم إن الرجلين أقنعاها بالعدول عما أصرت عليه من الهجر، وذكَّراها بحديث النبي ﷺ: "إنه لا يحل للمؤمن أن يهجر أخاه فوق ثلاث" حتى اقتنعت وبكت وكلَّمت عبد الله بن الزبير ولكن هذا الأمر أهمَّهَا كثيرًا، فكانت كلما ذكرته بكت رضي الله عنها، لأنه شديد.

وهذه قاعدة في كل إنسان يخاف الله، كل من كان بالله أعرف كان منه أخوف. كلما ذكرت هذا النذر وأنها انتهكته بكت رضي الله عنها ومع هذا أعتقت أربعين عبدًا من أجل هذا النذر ليعتق الله تعالى رقبتها من النار، وفي هذا دليلٌ على شدة إيمان أمهات المؤمنين وحرصهن على العتق من النار والبراءة من عذاب النار.

ففي هذا الحديث فوائد:

١- أن الإنسان لا يحل له أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام ولا سيما إذا كان قريبًا وأنه يجب عليه أن يحنث ويكفر، لقول النبي ﷺ: "من حلف على

يمين فرأى غيرها خيرًا فليأت الذي هو خير وليكفر عن يمينه"[١] فلو حلفتَ على فلان ألا تدخل بيته وهو من أقاربك لأنه أساء إليك، فهذا حرام عليك أن تهجره، ويجب عليك أن تكفر عن يمينك وأن تصل رحمك وقريبك، والله عزَّ وجلَّ غفور رحيم بالنسبة لليمين إذا كفرت عن يمينك، وأتيت الذي هو خير كما أمر النبي ﷺ.

٢ - فضيلة الإصلاح بين الناس، ومعلوم أن الإصلاح بين الناس من أفضل الأعمال قال الله تعالى: ﴿ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ١١٤].

٣ - جواز الحيل إذا لم تصل إلى شيء محرم، لأن عائشة رضي الله عنها تحيل عليها الرجلان في الدخول عليها ومعهما عبد الله بن الزبير.

٤ - رقة قلوب الصحابة وسرعة بكائهم رضي الله عنهم من خشية الله عزَّ وجلَّ وهذا دليلٌ على لين القلب وخشيته لله، وكلما كان قلب الإنسان أقسى كان من البكاء أبعد - والعياذ بالله -، ولذلك نرى الناس لما كانوا أقرب للآخرة من اليوم نجد فيهم الخشوع والبكاء وقيام الليل واللجوء إلى الله والصدقة وفعل الخير، لكن لما قست القلوب صارت المواعظ تمر عليها مرور الماء على الصفا لا تنتفع به إطلاقًا نسأل الله لنا ولكم العافية.

* * *

(١) رواه مسلم: كتاب الأيمان، باب ندب من حلف يمينًا فرأى غيرها خيرًا منها، رقم(٣١١٥).

١٨٦٠ - وعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامرٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ خَرَجَ إِلَى قَتْلَى أُحُدٍ، فَصَلَّى عَلَيْهِمْ بَعْدَ ثَمانِ سِنِينَ كالمُوَدِّع لِلْأَحْيَاءِ وَالأَمْوَاتِ، ثُمَّ طَلَعَ إلى المنْبَرِ، فَقَالَ: "إِنِّي بَيْنَ أَيْدِيكُم فَرَطٌ وَأَنَا شهيدٌ عَلَيْكُمْ، وإِنَّ موعِدَكُم الحوضُ، وإِنِّي والله لأنظرُ إِلَيْهِ مِنْ مَقَامِي هذا، أَلَا وإِنِّي لستُ أخشَى عَلَيْكُمْ أن تُشرِكُوا، وَلَكِنْ أَخْشَى عليكمُ الدُّنْيَا أن تَنَافسُوهَا" قَال: فكانتْ آخِرَ نظرَةٍ نظرتُها إلى رسول الله ﷺ[1]. متفق عليه.

وفي رواية[2]: وَلَكِنِّي أخشى عليكم الدنيا أن تنافسُوا فيها، وتقْتَتِلُوا فتَهْلِكُوا كما هلكَ من كان قبلكم" قال عقبة: فكان آخر ما رأيتُ رسول الله ﷺ على المنبر.

وفي رواية قال[3]: "إنِّي فَرَطٌ لَكُمْ وَأَنَا شهيدٌ عَلَيْكُمْ وإنِّي لأنظرُ إِلى حَوْضِي الآن، وَإِنِّي أُعْطِيْتُ مَفَاتِيْحَ خَزَائِنِ الأَرْضِ، أَوْ مَفَاتِيْحَ الأرضِ، وإِنِّي وَالله مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ تُشرِكُوا بَعْدِي وَلَكِنْ أخافُ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنَافَسُوا فِيْهَا".

والمراد بالصلاة على قتلى أحد: الدُّعاء لهم، لا الصلاة المعروفة.

---

(١) رواه البخاري: كتاب المغازي، باب غزوة أحد، رقم(٣٧٣٦)، ومسلم: كتاب الفضائل، باب إثبات حوض نبينا ﷺ، رقم(٤٢٤٩).

(٢) رواه البخاري: كتاب الجنائز، باب الصلاة على الشهيد، رقم(١٢٥٨)، ومسلم: كتاب الفضائل، باب إثبات حوض نبينا ﷺ، رقم(٤٢٤٨).

(٣) رواه مسلم، كتاب الفضائل، باب إثبات حوض نبينا ﷺ، رقم (٢٢٩٦).

الشـرح

هذا الحديث نقله المؤلف - رحمه الله تعالى - في آخر أبوابه في الأحاديث المنثورة عن عقبة بن عامر رضي الله عنه أن النبي ﷺ خرج إلى أحد فصلى على الشهداء هناك - أي دعا لهم كما قال المؤلف - رحمه الله - وليس المراد الصلاة المعروفة، لأن صلاة الجنازة المعروفة إنما تكون قبل الدفن لا بعده، إلا من فاته الصلاة عليه قبل الدفن يصلي عليه بعده، لكن هذه الصلاة بمعنى الدعاء كما في قوله تعالى: ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ﴾ [التوبة: ١٠٣]. يعني ادع لهم، ثم صعد المنبر ﷺ وخطب الناس كالمودع، وأخبر أنه يرى حوضه، ماؤه أشد بياضًا من اللبن وأحلى من العسل وأطيب من المسك رائحة، وآنيته كنجوم السماء في الكثرة والنور - هذا الحوض يرده الناس وهم عطاش - من طول المقام يوم القيامة ويشرب منه المؤمنون - جعلنا الله وإياكم ممن يشربون منه بمنه وكرمه - ويذاد عنه المجرمون الكافرون، فمن شرب من شريعته في الدنيا واهتدى بسنته واتبع آثاره فليبشر أنه سيشرب من حوضه يوم القيامة، ومن لم يكن كذلك حرم إياه، والعياذ بالله.

كان الرسول ﷺ يقول: "إنه ينظر إلى حوضه الآن" كشف له عنه في الدنيا، كما كشف عنه حين رأى الجنة ورأى النار في صلاة الكسوف - وهذه أمور غيبية - لا نعرف كيف ذلك، ولكن الله ورسوله أعلم، وعلينا أن نؤمن ونصدق، فهذا الحوض يرده الناس يوم القيامة ويشربون منه إلا من طغى

واستكبر – والعياذ بالله – وأخبر ﷺ أنه لا يخشى على أمته الشرك، لأن البلاد – ولله الحمد – فتحت وصار أهلها إلى التوحيد، ولم يقع في قلب النبي ﷺ أنه يقع الشرك بعد ذلك، لكن لا يفهم من هذا – أي من كونه لا يخاف الشرك على أمته – ألا يقع، فإن الشرك وقع الآن، وهو موجود الآن: فمن المسلمين من يقول: إنه مسلم وهو يطوف بالقبور، ويسأل المقبورين ويذبح لهم، وينذر لهم، فالشرك موجود، والرسول ﷺ لم يقل: إنكم لن تشركوا حتى نقول: إن ما وقع ليس بشرك، لأن الرسول نفى أن يكون الشرك، وهو لا ينطق عن الهوى لكن قال: "إني لا أخاف" وهذا بناء على وقوع الدعوة في عهده ﷺ وبيان التوحيد وتمسك الناس به، لكن لا يلزم من هذا أن يستمر ذلك إلى يوم القيامة، ولهذا وقع الشرك، ويدل لهذا أنه صح عن الرسول ﷺ: "لا تقوم الساعة حتى يعبد فئام من أمته الأوثان". أي جماعات كبيرة، ولكن الرسول ﷺ في تلك الساعة لا يخشى على أمته الشرك، لكن خشي شيئًا آخر – الناس أسرع إليه – وهو أن تفتح الدنيا على الأمة فيتنافسوها ويتقاتلوا عليها، فتهلكهم كما أهلكت مَنْ قبلهم، وهذا هو الذي وقع الآن، فقد فتحت الدنيا وجاءتنا من كل جانب وصار فيها ما لا يخطر على البال مما سبق، ولو أن أحدًا حدَّث به من قبل لم يصدق، لكنه وقع، فصار الناس الآن يتنافسون فيها ويتقاتلون عليها، فأهلكتهم كما أهلكت من كان قبلهم، والذين لم يقاتلوا

عليها صارت قلوبهم للدنيا – والعياذ بالله – الدنيا همهم في المنام واليقظة، والقعود والقيام، والليل والنهار، حتى أصبح المثل المشهور الخاطئ واقعًا على كثير من الناس "الحلال ما حلَّ باليد من حرام أو حلال" وحتى صدق فيهم قول الرسول ﷺ: "يأتي على الناس زمان لا يبالي المرء ما أخذ منه أ من الحلال أم من الحرام"(١) – والعياذ بالله – أصبح الناس الآن يتقاتلون على الدنيا.

والعجب أن الإنسان يسعى وراء الدنيا التي خُلِقت له فيكون كأنه هو الذي خُلِق لها – والعياذ بالله – يخدمها خدمة عظيمة، يرهق فيها بدنه وعقله وفكره وراحته والأنس بأهله ثم ماذا؟ قد يفقدها في لحظة!! يخرج من بيته ولا يرجع إليه، ينام على فراشه ولا يستيقظ منه، وهذا مشاهد، والعجب الآخر أن هذه الآيات نشاهدها، ولكن القلوب قاسية، نشهد مَنْ عقد على امرأة ثم مات قبل أن يدخل عليها!! مع شدة شوقه إليها وبعد أمله ولكن حال دونه المنون، نجد أن أناسًا معهم بطاقات دعوة زواجهم ثم يموتون وهي في سياراتهم.

إذًا فما فائدة الدنيا وهي إلى هذا الحد في الغرور؟! لذلك أخبر النبي ﷺ وهو الرحيم بالمؤمنين الرءوف بهم الشفيق عليهم: إنما يخشى علينا أن تفتح علينا الدنيا فنتنافس فيها وهذا هو الواقع.

فاحذر – يا أخي – لا تغرنك الحياة الدنيا ولا يغرنك بالله الغرور، أنت

---

(١) رواه البخاري: كتاب البيوع، باب من لم يبال من حيث كسب المال، رقم(١٩١٨).

إن وسَّع الله عليك الرزق وشكرته فهو خير لك، وإن ضيق عليك الرزق فصبرت فهو خيرٌ لك، أما أن تجعل الدنيا أكبر همك ومبلغ علمك فهذه خسارة في الدنيا والآخرة - أعاذنا الله وإياكم من الفتن ما ظهر منها وما بطن.

* * *

١٨٦١- وَعَنْ أَبِي زَيْدٍ عَمْرو بْنِ أَخْطَبَ الْأَنْصَارِيِّ رضي الله عنه قَالَ: صَلَّى بِنَا رَسُولُ الله ﷺ الْفَجْرَ، وَصَعِدَ المنبر، فَخَطَبَنا حَتَّى حَضَرَتِ الظُّهْرُ، فَنزِلَ فَصَلَّى، ثُمَّ صَعِدَ المنْبَرَ حَتَّى حَضَرَتِ العصرُ، ثُمَّ نَزَلَ فَصَلَّى، ثُمَّ صَعِدَ الـمِنْبَرَ، حَتَّى غَرَبَتِ الشَّمْسُ، فأَخْبَرَنَا بِمَا كَانَ وَمَا هُوَ كَائِنٌ، فَأَعْلَمُنَا أَحْفَظُنَا[١]. رواه مسلم.

١٨٦٢ - وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "مَنْ نَذَرَ أَنْ يُطِيعَ اللهَ فَلْيُطِعْهُ وَمَنْ نَذَرَ أَنْ يَعصِيَ اللهُ، فَلَا يَعْصِه[٢]" رواه البخاري.

الشرح

هذان الحديثان من الأحاديث التي ذكرها الحافظ النووي - رحمه الله - في آخر كتابه رياض الصالحين من الأحاديث المنثورة التي لا تختصُّ بباب، دون باب فمنها هذا الحديث الدال على أن النبي ﷺ أخطب الناس وأن الله

(١) رواه مسلم: كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب إخبار النبي ﷺ، رقم(٥١٤٩).

(٢) رواه البخاري: كتاب الأيمان والنذور، باب النذر في الطاعة، رقم(٦٢٠٢).

تعالى أعطاه فصاحة لم يعطها أحدًا غيره، فقد صلى الفجر ذات يوم وصعد المنبر وخطب الناس حتى أذن الظهر، ثم نزل فصلى الظهر، ثم عاد فصعد المنبر وخطب حتى أذن العصر، فنزل وصلى العصر، ثم صعد المنبر فخطب حتى غابت الشمس، يعني يومًا كاملاً من صلاة الفجر إلى غروب الشمس وهو ﷺ يخطب، ولم يذكر أنه خرج إلى البيت ليتغدى أو نحو ذلك، فإما أن يكون صائمًا وإما أن يكون قد انشغل بما هو أهم، وكذلك أيضًا لم يذكر أنه صلى راتبة الظهر فيكون هنا اشتغل عن الراتبة بما هو أهم، لأن موعظة الناس وتعليم الناس أهم من الراتبة، فإن دار الأمر بين أداء الراتبة والتعليم فالتعليم أفضل.

قال: "وأخبرنا بما كان وما يكون" يعني مما أطلعه الله عليه وليس يعلم الغيب إلا ما أطلعه الله عليه فقط، فأعلمه الله – عزَّ وجلَّ – في ذلك اليوم شيئًا من علوم الغيب الماضية ومن الغيوب المستقبلة وأخبر بها ﷺ.

"فأعلمنا أحفظنا" يعني منا من علم وحفظ وبقي ذلك في ذهنه ومنا من لم يحفظ، وأعلمهم أحفظهم، ففي هذا دليلٌ على قوة النبي ﷺ ونشاطه وحرصه على إبلاغ الرسالة حتى قام يومًا كاملاً.

أما الحديث الثاني - - فهو حديث عائشة أن النبي ﷺ قال: "مَنْ نَذَرَ أَنْ يُطِيعَ اللهَ فَلْيُطِعْهُ وَمَنْ نَذَرَ أَنْ يَعْصِيَهُ فَلَا يَعْصِه".

النذر: هو أن يلزم الإنسان نفسه شيئًا لله– عزَّ وجلَّ – مثل أن يقول: لله عليَّ نذر أن أصوم، أو أن أصلي ، أو أن أقرأ القرآن، أو أن أحج ، أو أن أعتمر، أو أن أتصدق... إلخ والنذر إما حرام وإما مكروه، فبعض العلماء

يرى أن النذر حرام وأنه لا يحل للإنسان أن ينذر، لأنه يكلف نفسه ما هو في غنى عنه، وكم من إنسان نذر ولم يوف! وكم من إنسان نذر وتعب في الوفاء! وكم من إنسان نذر وذهب إلى أبواب العلماء يستفتيهم لعله يجد رخصة! والمهم: أن النبي ﷺ نهى عن النذر، ومنهم من قال: إنه للكراهة، ولكن إذا نذر أن يطيع الله وجب عليه أن يطيع الله وجوبًا: فإذا قال: لله عليَّ نذر أن أصوم كل يوم إثنين من كل أسبوع وجب عليه أن يصوم كل يوم إثنين في الأسبوع، ولا يحل له أن يخلف إلا لعذر كمرض ونحوه، وإذا نذر أن يصلي كل يوم ركعتين لله في الضحى وجب عليه أن يصلي ركعتين، وإذا نذر أن يتصدق بـ ١٠٠ درهم وجب عليه أن يتصدق لزومًا. مع أنه كان في حِلٍّ من ذلك إن شاء صام، وإن شاء لم يصم، وإن شاء صلى وإن شاء لم يصل، في غير فرائض الله فهو في حل وسعة، فيذهب فيضيق على نفسه، والعجب أن بعض الناس - نسأل الله لنا ولهم الهداية - إذا كان مريضًا قال: "لله علي نذر إن عافاني الله لأفعلن كذا وكذا" سبحان الله! الله لا يعافيك إلا إذا أعطيت الشرط!! ولهذا أشار النبي ﷺ لذلك فقال: "إن النذر لا يرد شيئًا[1]" إذا أراد الله أمرًا - سواء نذرت أو لم تنذر - سيتم، وقال: "إنه لا يأتي بخير[2]" وصدق ﷺ النذر ما فيه خير، فكم من إنسان نذر ولم يوف.

واعلم أنك إذا نذرت، على شرط فلم توف إذا حصل الشرط فإنك

(١) رواه البخاري: كتاب القدر، باب إلقاء النذر العبد إلى القدر، رقم(٦١١٨)، ومسلم: كتاب النذر، باب النهي عن النذر، وأنه لا يرد شيئًا، رقم(٣٠٩٣).

(٢) رواه مسلم: كتاب النذر، باب النهي عن النذر وأنه لا يرد شيئًا، رقم(٣٠٩٥).

مهدد بأمر عظيم، مهدد بنفاق يجعله الله في قلبك حتى تموت قال الله – عزَّ وجلَّ – ﴿ وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [التوبة: ٧٥]. عاهدوا الله: إن أعطانا مالاً لنتصدقن منه ونقوم بطاعة الله ﴿ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ ﴾ [التوبة: ٧٦]. وتم لهم مطلوبهم ﴿ بَخِلُوا۟ بِهِۦ وَتَوَلَّوا۟ ﴾ ولم يتصدقوا وتولوا ولم يكونوا من الصادقين وما وفوا بما عاهدوا الله عليه ﴿ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ ﴾ [التوبة: ٧٧]. نفاق دائم، لا يوفقون إلى التوبة منه، ولا تنسلخ قلوبهم منه، بل يبقى النفاق في قلوبهم إلى أن يموتوا – والعياذ بالله – فيموتوا على النفاق لما أخلفوا الله تعالى من الصدقات وبما كانوا يكذبون من قولهم إنا سنكون من الصالحين، فالمهم – يا أخي المسلم – احذر النذر، وحذِّر إخوانك المسلمين وقل للمريض: إن أراد الله لك شفاء شفاك بدون نذر، وقل للتلميذ: إن أراد الله أن تنجح نجحت بدون نذر، وقل لمن ضاع منه شيء: إن أراد الله أتاك به من غير نذر واصدق الله في نفسك وإذا حصل ذلك الشيء فحينئذ اشكر الله، وتصدق بما شئت، أو صم، أو صلِّ، أما أن تنذر وكأن الله – عزَّ وجلَّ – لا يأتي إلا إذا شرط له شرط – نسأل الله العافية ولهذا فالقول بتحريم النذر قول قوي، وإليه مال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله –.

أما "من نذر أن يعصي الله فلا يعصه" لو نذر أن يشرب الخمر مثلاً حرم عليه شربها، ولا يحل له أن يشرب الخمر بالنذر، فلا وفاء لنذر في معصية الله، ولو نذر أن يعتدي على شخص فلا يحل أن يعتدي عليه ولو نذر، ولو

نذر أن يغتاب شخصًا فلا يحل له أن يغتابه، ولو نذر أن يقاطع قريبه لم يحل له أن يقاطع قريبه، ولو نذر أن يعق والديه لم يحل له أن يعق والديه، لأن ذلك معصية، ومن نذر أن يعصي الله فلا يعص، ولكن ماذا يفعل؟ قال أهل العلم: إنه لا يعصي الله ويكفر كفارة يمين: يطعم عشرة مساكين أو يكسوهم أو يعتق رقبة فإن لم يجد صام ثلاثة أيام متتابعة لحديث ورد في ذلك عن النبي ﷺ، والله الموفق.

* * *

١٨٦٣- وَعَنْ أُمِّ شُرَيكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ أَمَرَهَا بقتْلِ الأوزاغِ، وقال: "كَانَ ينفُخُ عَلَى إِبْرَاهِيْمَ[١]" متفقٌ عليه.

١٨٦٤ - وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: "مَنْ قَتَل وزَغَةً فِي أوَّلِ ضَرْبةٍ، فَلَهُ كَذَا وَكَذَا حَسنةً، وَمَنْ قَتَلَهَا فِي الضَّرْبَةِ الثَّانِيَةِ، فَلَهُ كَذَا وَكَذَا حسنةً دُون الْأُولى، وَإِنْ قتَلها فِي الضَّرْبَةِ الثَّالِثَةِ، فَلَهُ كَذَا وَكَذَا حَسنةً[٢]".

وَفِي رِوايةٍ[٣]: "مَنْ قَتَل وزغًا في أَوَّلِ ضَرْبةٍ، كُتِب له مائةُ حسنةٍ" وفي الثَّانِيَّة دُون ذَلِكَ، وَفِي الثَّالِثَةِ دون ذلك" رواه مسلم.

---

(١) رواه البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى واتخذ الله إبراهيم خليلاً، رقم(٣١٠٩).

(٢) رواه مسلم: كتاب السلام، باب استحباب قتل الوزغ، رقم(٤١٥٦).

(٣) رواه مسلم، كتاب السلام، باب استحباب قتل الوزغ، رقم (٢٢٤٠).

قَال أهل الُّلغة: الوزغُ: العظام من سامَّ أبرصَ.

الشـــرح

هذان الحديثان في قتل الوزغ: والوزغ سام أبرص، هو هذا الذي يأتي في البيوت ويؤذي الناس، وقد أمر النبي ﷺ بقتله، وكان عند عائشة رضي الله عنها رمح تتبع به الأوزاغ وتقتلها، وأخبر النبي ﷺ أن من قتله في أول مرة فله كذا وكذا من الأجر، وفي الثانية أقل، وفي الثالثة أقل، كل ذلك تحريضًا للمسلمين على المبادرة لقتله، وأن يكون قتله بقوة ليموت في أول مرة، وسماه النبي ﷺ فاسقًا، وأخبر أنه كان ينفخ النار على إبراهيم – والعياذ بالله – حين ألقاه أعداؤه في النار من أجل أن يشتد لهبها، مما يدل على عداوته التامة لأهل التوحيد والإخلاص، ولذلك ينبغي للإنسان أن يتتبع الأوزاغ في بيته أو في السوق، أو في المسجد، ويقتلها امتثالاً لأمر النبي ﷺ واحتسابًا للثواب والأجر، لأن في حديث أبي هريرة الذي ذكره المؤلف أن من قتله في أول مرة فله مائة حسنة وفي الثانية سبعون حسنة، وفي الثالثة دون ذلك، وكل إنسان منا يسعى لكسب الحسنات، نسأل الله الهداية إليها، فاحرص يا أخي على قتل الوزغ إما بيدك أو بالنعل أو بالحجر أو بالحصى أو بغير ذلك، وسبق أن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها كانت قد أعدت لذلك شيئًا يشبه الرمح تقتل به الأوزاغ، والله الموفق.

* * *

١٨٦٥- وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: "قَالَ رجُلٌ: لأتصدَّقَنَّ بِصَدَقةٍ، فَخَرَجَ بِصَدَقَتِهِ، فَوَضَعَهَا في يَدِ سَارِقٍ، فَأَصْبَحُوا يتحَدَّثُون: تُصُدِّقَ عَلَى سَارِقٍ! فقَال: اللهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ لَأَتَصدقَنَّ بِصدقةٍ، فَخَرَجَ بِصَدَقَتِهِ، فَوَضَعَهَا فِي يَدِ زانيةٍ، فَأَصْبحُوا يتحدَّثُون: تُصُدِّق الليلةَ عَلَى زانِيةٍ! فَقَالَ: اللهُمَّ لَكَ الحمْدُ عَلَى زَانِيةٍ؟! لَأتصدَّقنَّ بصَدقةٍ، فَخَرَجَ بصدقَتِهِ، فَوَضعها في يد غَنِيٍّ، فَأَصْبَحُوا يَتَحَدَّثُونَ: تُصُدِّقَ على غنيٍّ! فَقَالَ: اللهُمَّ لَكَ الحمْدُ عَلَى سارقٍ، وَعَلَى زانيةٍ، وَعَلَى غنيٍّ! فَأُتي فَقِيل لَهُ: أَمَّا صَدقتُكَ عَلَى سَارِقٍ، فَلَعَلَّه أَنْ يستعفَّ عن سرقته، وأما الزانية فلعَلَّها تستعفُّ عن زناها، وأما الغني فلعله أن يعتبر، فيُنْفِقَ مما آتاه الله[1]" رواه البخاري بلفظه، ومسلم بمعناه.

الشـرح

حديث أبي هريرة رضي الله عنه في قصة الرجل الذي خرج يتصدق - ومعروف أن الصدقة على الفقراء والمساكين - فوقعت صدقته في يد سارق، فأصبح الناس يتحدثون: تصدق الليلة على سارق، والسارق ينبغي أن يعاقب لا أن يُعطى ويُنمى ماله فقال هذا الرجل المتصدق: "الحمد لله" حمد الله، لأن الله - تعالى - محمود على كل حال، وكان من هدي النبي ﷺ أنه إذا أصابه ما

(١) رواه البخاري: كتاب الزكاة، باب إذا تصدق على غني وهو لا يعلم، باب ....، رقم(١٣٣٢)، ومسلم: كتاب الزكاة، باب ثبوت أجر المتصدق وإن وقعت الصدقة فيه..، رقم(١٦٩٨).

يسره قال: "الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات[1]"، فإذا أتاك ما يسرك فقل الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات. وإذا أصابه خلاف ذلك قال: "الحمد لله على كل حال" هذا هو هدي النبي عليه الصلاة والسلام.

وأما ما يقولُه بعض الناس "الحمد لله الذي لا يُحمد على مكروه سواه" فهذه عبارة لا ينبغي أن تقال، لأن كلمة "على مكروه" تنبئ عن كراهتك لهذا الشيء وأن هذا فيه نوعًا من الجزع، ولكن قل كما قال النبي ﷺ: "الحمد لله على كل حال".

والإنسان لا شك أنه في هذه الدنيا يومًا يأتيه ما يسره، ويومًا يأتيه ما لا يسره فإن الدنيا ليست باقية على حال، وليست صافية من كل وجه، بل صفوها مشوب بالكدر - نسأل الله أن يكتب لنا ولكم بها نصيبًا للآخرة - لكن إذا أتاك ما يسرك فقل: الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وما يسوءك فقل: الحمد لله على كل حال، ثم إنه خرج هذا الرجل فقال: لأتصدقن الليلة فوقعت صدقته في يد زانية - امرأة بغي والعياذ بالله.

"فأصبح الناس يتحدثون: تُصدق الليلة على زانية" وهذا شيء لا يقبله العقل ولا الفطرة فقال: الحمد لله، ثم قال: لأتصدقن الليلة، وكأنه رأى أن صدقته الأولى والثانية لم تقبل، فتصدق، فوقعت صدقته في يد غني، والغني ليس من أهل الصدقة بل من أهل الهدية والهبة والكرامة وما أشبه ذلك.

"فأصبح الناس يتحدثون: تصدق الليلة على غني" فقال: الحمد لله،

---

(١) رواه ابن ماجه: كتاب الأدب، باب فضل الحامدين، رقم(٣٧٩٣).

على سارق وزانية وغني، وقد كان يريد أن تقع صدقته في يد فقير متعفف نزيه، لكن كان أمر الله قدرًا مقدورًا، فقيل له: إن صدقتك قد قبلت، لأنه مخلص، قد نوى خيرًا لكنه لم يتيسر له، وقد قال النبي ﷺ في هذا الشأن: "إذا حكم الحاكم فاجتهد فأخطأ فله أجر"(١) فهذا مجتهد ولم يتيسر له ما يريد فقيل له: أما صدقتك فقد قبلت. "وأما السارق فلعله أن يستعف عن السرقة"، ربما يقول: هذا مال يكفيني، "وأما البغي فلعلها أن تستعف عن الزنا"، لأنها ربما كانت تزني - والعياذ بالله - ابتغاء المال وقد حصل لها ما يكفها عن الزنا. "وأما الغني فلعله يعتبر فينفق مما آتاه الله".

وهكذا النية الطيبة تنتج عنها الثمرات الطيبة، وكل هذا الذي ذكر متوقع وربما يكون. يستعف السارق عن السرقة، والبغي عن الزنا والغني يعتبر.

ففي هذا الحديث دليلٌ على أن الإنسان إذا نوى الخير وسعى فيه وأخطأ فإنه يكتب له، ولا يضره، ولهذا قال العلماء - رحمهم الله -: إذا أعطى زكاته من يظنه من أهل الزكاة فتبين أنه ليس من أهلها فإنها تجزئه، مثلاً رأيت رجلاً عليه ثياب رثة تحسبه فقيرًا فأعطيته الزكاة، ثم تحدث الناس أنه غني وعنده أموال كثيرة فتجزئك الزكاة؛ لأنه قيل لهذا الرجل: [أما صدقتك فقد قبلت]، وكذلك إذا أعطيتها غيره ممن ظننته مستحقًّا ولم يكن كذلك فإنها تجزئك. والله الموفق.

* * *

(١) سبق تخريجه ص(٦٧٥).

١٨٦٦ - وعَنْهُ قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ الله ﷺ فِي دَعْوَةٍ، فَرُفِعَ إِلَيْهِ الذِّراعُ، وكانت تُعْجِبُهُ، فَنَهس منها نَهْسَةً وَقَال: أَنا سيِّدُ النَّاس يَوْمَ القيامة، هل تدرُون مِمَّا ذاك؟ يجمعُ الله الأولين والآخرين في صَعِيدٍ وَاحدٍ، فَيُبصرُهُمُ النَّاظر، ويسمعهم الدَّاعي، وتدنُو منهم الشَّمس، فيبلغ الناس من الغَمِّ والكرب ما لا يطيقون ولا يحتملون، فيقول النَّاس: أَلَا تَرَوْنَ إلى ما أنتُم فيه، إلى ما بلغكم، أَلَا تَنْظُرُوْنَ من يشفعُ لكم إلى ربِّكُمْ؟

فيقول بعض الناس لبعضٍ: أبوكمْ آدمُ، ويأتونَهُ فيقولون: يا آدمُ أنتَ أبو البَشَرِ، خلقك اللهُ بيده، ونفخ فيك من روحه، وأمر الملائكة، فسجدوا لك وأسكنك الجنة، ألا تشفع لنا إلى ربِّكَ؟ ألا ترى ما نحنُ فيه، وما بلغنا!؟ فقال: إنَّ رَبِّي غضب اليوم غضبًا لم يغضَبْ قَبْله مثلهُ، ولا يغضب بعده مثله، وإنه نهاني عن الشجرة، فعصيتُ، نفسي نفسي نفسي، اذهَبُوا إلى غيري، اذهبوا إلى نوحٍ.

فيأتون نُوحًا فيقولون: يا نُوحُ، أنت أوّل الرُّسُل إلى أهلِ الأرض، وقد سمَّاك الله عَبْدًا شَكُورًا، ألا ترى ما نحنُ فيه، ألا ترى إلى ما بلغْنَا ألا تشْفَعُ لنا إلى ربِّك؟ فيقول: إنَّ رَبِّي غضبَ اليوم غضبًا لم يغضبْ قَبْلَهُ مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإنَّه قد كانتْ لي دَعْوَةٌ دعوتُ بها على قومي، نفسي نفسي نفسي، اذْهَبُوا إلى غَيْرِي، اذْهَبُوا إلى إبراهيم.

فيأْتون إبراهيم فيقولون: يا إبراهيمُ أنت نبيُّ الله وخَليلُهُ من أهل

الأرض، اشفع لنا إلى ربِّكَ، أَلَا ترى مَا نَحْنُ فِيه؟، فَيقولُ لَـهُمْ: إنَّ ربِّي قد غَضِبَ اليومَ غَضبًا لَـمْ يَغْضَبْ قَبْلَه مِثْلَه، وَلَنْ يَغضَبَ بعده مثله، وإنِّي كُنْتُ كذَبْتُ ثلاث كذبات، نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذهَبُوا إلى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلى مُوسَى.

فَيَأْتُونَ مُوسَى، فَيَقُولُونَ: يَا مُوسَى أَنْتَ رَسُولُ الله فضَّلَكَ اللهُ برِسَالَاتِهِ وَبِكَلَامِهِ عَلَى النَّاسِ، اشْفَعْ لَنَا إلى ربِّكَ، أَلَا تَرى إِلَى مَا نَحْنُ فِيه، فَيقُولُ: إنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ اليَوْمَ غَضَبًا لَـمْ يَغْضَبْ قَبْلَه مِثْلَه، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَه مِثْلَه، وَإِنِّي قد قتَلْتُ نَفْسًا لَـمْ أؤمَرْ بِقَتْلِهَا، نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى عِيسَى.

فَيَأْتُونَ عِيسَى. فَيَقُولُونَ: يَا عِيسَى أَنتَ رَسُولُ الله وَكَلِمَتهُ أَلْقَاهَا إِلى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنهُ، وَكلَّمْتَ النَّاسَ فِي المَهْدِ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيه، فَيَقُولُ عِيسَى: إنَّ رَبِّي قد غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَـمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَه مِثْلَهُ، وَلَـمْ يَذْكُرَ ذنبًا، نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى محمد ﷺ".

وَفِي رِوَايَةٍ:"فَيَأْتُونِي فَيَقُولُونَ: يَا مُحَمَّد أَنْتَ رَسُولُ الله، وَخَاتمُ الأَنْبِيَاءِ، وَقَدْ غَفَرَ اللهُ لَهُ مَا تَقَدَّم مِنْ ذَنْبِكِ وَمَا تأَخَّرَ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّك، أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيه؟ فانطَلِقْ، فَآتِي تَحْتَ العَرْشِ، فَأَقعُ سَاجِدًا لِرَبِّي، ثُمَّ يَفْتَحُ اللهُ عَلَيَّ مِنْ محَامِدِهِ، وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ شَيْئًا لَـمْ يَفْتَحْهُ عَلَى الْعَرْشِ قَبْلِي ثُمَّ

يُقالُ: يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ، سَلْ تُعْطَهْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَرفَعُ رَأْسِي، فَأَقُولُ: أُمَّتِي يَا رَبِّ، أُمَّتِي يَا ربِّ، فَيُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ أدخلْ مِنْ أُمَّتِكَ مَنْ لَا حِسَابَ عَلَيْهِمْ مِنَ البَابِ الْأيْمَنِ مِنْ أَبْوَابِ الجنَّةِ وَهُمْ شُرَكَاءُ النَّاسِ فِيمَا سِوَى ذَلِكَ مِنَ الْأَبْوَابِ" ثُمَّ قَالَ: "وَالَّذي نَفْسِي بِيَدِه إنَّ مَا بَيْنَ المِصْرَاعَيْنِ مِنْ مَصَارِيعِ الجنَّةِ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَهَجَرَ، أَوْ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وبُصْرَى[(١)]" متفق عليه.

الشرح

هذا الحديث الطويل الذي ساقه المؤلف – رحمه الله تعالى – عن أبي هريرة رضي الله عنه أنهم كانوا مع النبي ﷺ في دعوة فَقُدِّمت إليه الذراع، فنهس منها نهسة وكانت تعجبه، "الذراع": يعني ذراع الشاة لأن لحمها أطيب ما في الجسم من اللحم، فهو لين وسريع الهضم ومفيد، وكانت تعجب النبي ﷺ أن يأكل منه فنهس منها نهسة ثم حدثهم بهذا الحديث العجيب الطويل فقال: "أنا سيد ولد آدم يوم القيامة" ولا شك أنه ﷺ سيد ولد آدم وأشرف بني الإنسان عند الله تبارك وتعالى.

"أتدرون مم ذلك؟"

قالوا: لا يا رسول الله، فساق لهم بيان شرفه وفضله ﷺ على جميع بني

---

(١) رواه البخاري: كتاب أحاديث تفسير القرآن، باب ﴿ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴾، رقم(٤٣٤٣)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها، رقم(٢٨٧).

آدم، وذكر أن الناس يحشرون يعني يجمعون يوم القيامة في صعيد واحد أولهم وآخرهم كما قال عزَّ وجلَّ ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْآخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴾ [الواقعة: ٤٨ – ٥٠]. يجمعون في صعيد واحد والأرض يومئذ ممدودة، ليست كهيئتها اليوم كروية لا ترى إذا مددت بصرك كل الأرض إلا ما يواجهك من ظهرها فقط، أما يوم القيامة فإن الأرض تمد مد الجلد، وليس فيها جبال ولا أودية ولا أنهار ولا بحار، تمد مدًّا واحدًا والناس فيها يسمعهم الداعي وينفذهم البصر، يعني لو تكلم الإنسان سمعه الجميع والبصر ينفذهم كلهم ويراهم لأنه ليس بها تكور حتى يغيب بعضهم عن بعض، بل كلهم في صعيد واحد، في ذلك اليوم تدنو الشمس من الخلائق على قدر ميل، ويلحقهم من الغم والكرب ما لا يطيقون ولا يتحملون، فتضيق بهم الأرض، ويطلبون الشفاعة لعل أحدًا يشفع فيهم عند الله – جلَّ وعلا – ينقذهم من هذا الموقف العظيم على الأقل، فيلهمهم الله – عزَّ وجلَّ – أن يأتوا إلى آدم أبي البشر، فيأتون إليه ويبينون فضله، لعله يشفع لهم عند الله – عزَّ وجلَّ – يقولون له: أنت آدم أبو البشر، كل البشر من بني آدم: الذكور والإناث إلى يوم القيامة "خلقك الله بيده" كما قال تعالى منكرًا على إبليس: ﴿ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ [ص: ٧٥]. خلقه الله بيده، وخلق بقية الخلق بكلمة (كن فيكون) أما آدم فخلقه جل وعلا بيده، يقولون: (خلقك الله بيده وأسجد لك ملائكته) قال الله تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ

فَسَجَدُوٓاْ ﴾ [البقرة: ٣٤]. وعلمك الله أسماء كل شيء قال الله تعالى: ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ﴾ [البقرة: ٣١]. "ونفخ فيك من روحه": قال الله تعالى: ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴾ [الحجر: ٢٩]. كل هذا يعلمه الخلق ولا سيما أمة محمد الذين أعطاهم الله – تعالى – من العلوم ما لم يعط أحدًا من الأمم، فيعتذر ويقول: إن ربي غضب اليوم غضبًا لم يغضب مثله، ولن يغضب مثله قط، ثم يذكر خطيئته: أن الله سبحانه وتعالى نهاه أن يأكل من شجرة فأكل، قال الله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [البقرة: ٣٥]. شجرة في الجنة لا ندري ما هذه الشجرة ولا نوعها ولا كبرها ولا صغرها، شجرة أبهمها الله فعلينا أن نؤمن بها مبهمة، نهى آدم أن يأكل منها، وبين له أنه إذا أكل منها هو وزوجه فإنهما يكونان من الظالمين، ولكن عدوهما الشيطان دلاهما بغرور ووسوس لهما وقاسمهما: إني لكما لمن الناصحين، فغرهما ونسى آدم عهده إلى الله – عزَّ وجلَّ – وعصى ربه ﴿ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴾ [طه: ١٢١]. نسى وأكل من الشجرة فعوقب بأن أخرج من الجنة إلى الأرض لحكمة يريدها الله – عزَّ وجلَّ – فيذكر معصيته ويقول: نفسي نفسي نفسي يعني: عسى أن أنقذ نفسي، ويؤكد ذلك ويكرره ثلاث مرات: اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى نوح.

ونوح عليه الصلاة والسلام هو الأب الثاني للبشرية، لأن الله أغرق جميع أهل الأرض الذين كذبوا نوحًا "وما آمن معه إلا قليل" وإن نوحًا هو

الأب الثاني للبشر، اذهبوا إلى نوح فيأتون إلى نوح لأنهم في شدة وضيق، فيأتونه ويذكرون نعم الله عليه، وأنه أول رسول أرسله الله إلى أهل الأرض، وأن الله سماه عبدًا شكورًا، ولكنه يقول كما قال آدم في غضب الله -عزَّ وجلَّ- : "إن ربي غضب اليوم غضبًا لم يغضب مثله قط ولن يغضب مثله" ثم ذكر دعوته التي دعا بها على قومه: ﴿ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴾ [نوح: ٢٦]. وفي رواية أنه يذكر دعوته التي دعا ربه لابنه ﴿ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَـٰكِمِينَ ۝ قَالَ يَـٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَـٰلِحٍ ۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَـٰهِلِينَ ﴾ [هود: ٤٥-٤٦]. يذكر ذنبه، والشافع لا يشفع إلا إذا كان ليس بينه وبين المشفوع عنده ما يوجب الوحشة، والمعصية بين العبد وربه، توجب الوحشة بينهما وخجله منه، فيذكر معصيته ويقول: نفسي نفسي نفسي ويحيلهم إلى إبراهيم ﷺ فيأتي الناس إليه ويقولون: أنت خليل الله في الأرض، ويذكرون من صفاته، ويطلبون منه أن يشفع لهم عند ربه فيعتذر، ويقول: إنه كذب ثلاث كذبات، ويقول: نفسي نفسي نفسي.

والكذبات هي قوله: "إني سقيم" وهو ليس بسقيم، لكنه قال متحديًّا لقومه الذين يعبدون الكواكب. والثانية: قوله للملك الكافر: "هذه أختي" يعني زوجته ليسلم من شره وهي ليست كذلك. والثالثة قوله: "بل فعله كبيرهم هذا" أي الأصنام، لأن إبراهيم ﷺ ذهب إلى أصنامهم وكسرها، فلما

رجعوا وجدوها محطمة قالوا: ﴿مَن فَعَلَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا﴾ فقالوا: ﴿سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ﴾ وجرى بينهم وبين إبراهيم ما جرى، وقال لهم: ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ﴾ [الأنبياء: ٦٣]. وهو ما فعل، وإنما الذي فعله هو إبراهيم ﷺ لكن ذكر ذلك على سبيل التحدي لهؤلاء الذي يعبدون الأوثان.

هذه كذبات في ظاهر الأمر لكنها في الحقيقة وبمناسبة تأويله عليه الصلاة والسلام لم تكن كذبات، لكنه لشدة ورعه وحيائه من الله – تبارك وتعالى – اعتذر لهذا الإثم ويقول: نفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى موسى، فيأتون إلى موسى عليه الصلاة والسلام ويذكرون من صفاته وأن الله تعالى كلمه تكليمًا واصطفاه على أهل الأرض برسالاته وكلامه، فيذكر ذنبًا ويعتذر، يذكر أنه قتل نفسًا قبل أن يؤذن له في قتلها، وهو القبطي الذي كان في خصام مع رجل من بني إسرائيل، وموسى من بني إسرائيل والقبطي من أهل فرعون ﴿فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ﴾ [القصص: ١٥]. دون أن يؤمر بقتله، فرأى ﷺ أن هذا مما يحول بينه وبين الشفاعة للخلق حيث قتل نفسًا لم يؤمر بقتلها، وقال: نفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى عيسى، فيأتون إلى عيسى عليه الصلاة والسلام ويذكرون منة الله عليه، أنه نفخ فيه من روحه وأنه كلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، لأن الله خلق عيسى بلا أب،

فلا يذكر ذنبًا، ولكنه يحيلهم إلى محمد ﷺ وهذا شرف عظيم لرسول الله ﷺ حيث كان أربعة من الأنبياء يعتذرون بذكر ما فعلوه، وواحد لا يعتذر بشيء ولكن يرى أن محمدًا ﷺ أولى منه فيأتون إلى رسول الله ﷺ فيقبل ذلك، يسجد تحت العرش ويفتح الله عليه من المحامد والثناء على الله ما لم يفتحه على أحد غيره ثم يقال له: "ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعْ، وَسَلْ تُعْطه، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ" فيشفع ﷺ يقول: يا رب أمتي أمتي - يا رب أمتي يا رب أمتي -.

فيتقبل الله شفاعته ويقال له: "أدخل أمتك من الباب الأيمن من الجنة وهم شركاء مع الناس في بقية الأبواب'، وهذه فيها دلالة ظاهرة على أن النبي ﷺ أشرف الرسل، والرسل هم أفضل الخلق كما قال - عزَّ وجلَّ - ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَـٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّـٰلِحِينَ ﴾ [النساء: ٦٩]. هؤلاء هم الأصناف الأربعة الذين هم أفضل الخلق، النبيون والصديقون والشهداء والصالحون والنبي محمد ﷺ أفضلهم. والله الموفق.

* * *

١٨٦٧ - وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: جَاءَ إِبْرَاهِيمُ ﷺ بِأُمِّ إِسْمَاعِيلَ وَبابْنِهَا إِسْمَاعِيلَ وَهِيَ تُرْضِعُهُ حَتَّى وَضَعَهَا عِنْدَ الْبَيْتِ عِنْدَ دَوْحَةٍ فَوْقَ زَمْزَمَ فِي أَعْلَى الـمَسْجِدِ وَلَيْسَ بِمَكَّةَ يومئذٍ أَحَدٌ وَلَيْسَ بِهَا مَاءٌ، فَوَضَعَهُمَا هُنَاك، وَوَضَعَ عِنْدَهُمَا جِرَابًا فِيهِ تَمْرٌ، وسِقَاءً فيه ماءٌ.

ثُمَّ قَفَّى إبراهيمُ مُنْطَلِقًا، فَتَبِعَتْهُ أُمُّ إِسْمَاعِيلَ فَقَالَتْ: يَا إِبْرَاهِيمُ أَيْنَ تَذْهَبُ وَتَتْرُكُنَا بهذَا الْوَادِي الَّذِي لَيْسَ فِيه أَنِيسٌ ولا شيءٌ؟ فَقَالتْ لَهُ ذلك مِرَارًا، وَجَعَلَ لا يَلْتَفِتُ إِلَيْهَا، قالتْ لَهُ: آللهُ أَمَرَكَ بِهذَا؟ قال: نَعَمْ. قَالَتْ: إذًا لا يُضَيِّعُنَا، ثُمَّ رَجَعَتْ.

فَانْطَلَقَ إبراهيمُ ﷺ، حَتَّى إِذَا كَانَ عِنْدَ الثَّنِيَّةِ حَيْثُ لَا يَرَوْنَهُ، اسْتَقْبَلَ بوجْهِهِ البيتَ، ثُمَّ دَعَا بهؤلاء الدَّعواتِ، فَرَفَعَ يديهِ فقال: ﴿ رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ ﴾ حتَّى بلغَ ﴿ يَشۡكُرُونَ ﴾ .

وَجَعَلَتْ أُمُّ إسماعيلَ تُرضِعُ إِسْمَاعِيْلَ، وَتَشْرَبُ مِنْ ذَلِكَ الماءَ، حَتَّى إذَا نَفِدَ مَا فِي السِّقَاءِ، عَطِشَتْ، وَعَطِشَ ابنُهَا، وَجَعلتْ تَنْظرُ أَقْرَبَ جَبَلٍ في الأرض يَليهَا، فقامتْ عليه، ثُمَّ استقبلتِ الوادي تَنْظُرُ هَلْ ترى أَحدًا؟ فَلَمْ تَرَ أَحدًا؟ فَلَمْ تَرَ أَحدًا. فهبَطَتْ مِنَ الصَّفَا حَتَّى إذا بَلَغَتِ الوادِيَ، رفعتْ طَرَفَ دِرْعِهَا، ثُمَّ سعتْ سَعيَ الإنسانِ المجهُودِ حَتَّى جاوزتِ الوادي، ثُمَّ أَتَتِ المروة، فقامَتْ عليها، فَنَظَرَتْ هَلْ تَرى أحدًا؟ فَلَمْ تَرَ أحدًا، فَفَعَلَتْ ذلك سبعَ مَرَّاتٍ.

قال ابنُ عباسٍ رضي الله عنهما قال: النبيُّ ﷺ: "فذلك سعي الناس بينهما".

فَلَمَّا أشرقَتْ على المروةِ سَمِعتْ صَوْتًا، فقالتْ: صهْ - تُريدُ نفسها - ثُمَّ تَسَمَّعَتْ، فَسَمِعَتْ أيضًا فقالت: قَدْ أَسْمَعْتَ إنْ كان عِنْدَكَ غواثٌ.

فَإِذَا هِيَ بالملَكِ عِنْدَ مَوْضِعِ زَمْزَمَ، فَبَحثَ بعقِبه - أَوْ قَال بجَناحِهِ -

حَتَّى ظَهَرَ الماءُ، فجعلتْ تُحَوِّضُهُ وتَطُولُ بيدهَا هكذا، وجعلتْ تَغْرُفُ الماءَ في سِقَائِهَا وهو يفُورُ بعدَ ما تَغْرُفُ الماءَ في سقائها وهو يَفُورُ بعدَ ما تغرُفُ. وفي روايةٍ: بقدرِ ما تَغرِفُ.

قَال ابنُ عَبَّاس رَضِي اللهُ عَنْهُمَا: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "رَحِمَ اللهُ أُمَّ إِسْمَاعِيل لَو تَرَكَتْ زَمْزَمَ - أَوْ قَالَ: لَوْ لَمْ تغرِفْ مِنَ الماءِ، لَكَانتْ زَمْزَمُ عَيْنًا مَعِينًا".

قال: فَشَرِبَتْ، وأرضَعَتْ ولدها، فقال لها الملكُ: لا تخافُوا الضيَّعَةَ فإنَّ هَهُنَا بيتًا لله يبنيه هذا الغلامُ وأبوهُ، وإنَّ اللهَ لَا يَضِيْعَ أهلهُ؛ وكان البَيْتُ مُرْتَفِعًا مِنَ الأَرْضِ كَالرَّابِيَةِ تأتِيهِ السُّيولُ، فتأخُذُ عن يمينه وعن شماله.

فكانت كذلك، حَتَّى مَرَّتْ بهم رُفْقَةٌ من جُرْهُم، أو أهلُ بيتٍ من جُرْهُم مُقْبِلِينَ من طريقِ كداءَ، فنزلُوا في أسفلِ مكَّة، فرأوا طائرًا عائفا. فقالوا: إنَّ هذا الطائر ليدُورُ على ماءٍ لعهْدُنَا بهذا الوادي وما فيه ماءٌ، فأرسلوا جريًّا أوجريَّيْنِ، فإذا هُمْ بالماءِ. فَرَجَعُوا، فأخْبَرُوهُمْ، فَأَقْبَلُوا وأُمُّ إِسْمَاعِيل عِنْدَ الماء، فَقَالوا: أتأذَنِينَ لنَا أَنْ نَنْزِلَ عِنْدَكِ؟ قَالَتْ: نَعَمْ، وَلكنْ لَا حقَّ لَكُمْ فِي الماء، قَالوا: نَعَمْ.

قَالَ ابنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: قَالَ النبيُّ ﷺ: "فألفَى ذلك أُمَّ إسماعيل، وهي تُحبُّ الأنس، فنزلوا، فأرسلوا إلى أهليهم فنزلوا معهم، حتى إذا كانوا بها أهل أبياتٍ، وشَبَّ الغلامُ وتعلَّمَ العربيَّة منهم وأنفسهم وأعجبهُم حين شَبَّ، فلمَّا أدرَكَ، زَوَّجُوهُ امرأةً منهم، وماتتْ أُمُّ إسماعيلَ.

فجاءَ إبراهيمُ بعد ما تزوَّج إسماعيلُ يطالِعُ تركتَهُ، فَلَمْ يَجِدْ إِسْمَاعِيل فَسَأَلَ امرأَتَهُ عَنْه فقالتْ: خَرَج يبتغي لَنَا – وفي رواية: يَصِيدُ لنا – ثُمَّ سأَلها – عَنْ عَيْشِهم وهيئَتِهم فقالت: نحنُ بشَرٍّ، نحنُ في ضيقٍ وشِدَّةٍ، وشكتْ إليه، قال: فإذا جاءَ زوجُكِ، اقرئي عليه السلام، وقُولي لَهُ يُغَيِّرُ عتبةَ بابه.

فَلَمَّا جاء إسماعيلُ كَأَنه آنس شَيْئًا، فَقَالَ: هَلْ جَاءَكُمْ مِنْ أَحَدٍ؟ قَالَتْ: نَعَمْ، جاءنَا شيخٌ كذا وكذا، فسألنَا عنكَ، فأخبرتُهُ، فسألني: كيف عيْشُنَا، فأخبرتُهُ أَنَّا في جهدٍ وشدَّةٍ. قال: فَهَلْ أوصاكِ بشيء؟ قالتْ: نعمْ أَمَرَني أن أقرأ عليك السلام ويقولُ: غيِّرْ عتبةَ بابكَ. قال: ذاك أبي وقدْ أَمَرَني أَنْ أُفارقَكِ، الحُقي بأهلك، فَطَلَّقَهَا، وتزوَّج منهمْ أخرى.

فلبثَ عَنْهُم إبراهيمُ مَا شَاء الله ثُمَّ أتاهم بعدُ، فلم يجدْه، فدخل على امرأته، فَسَأَلَ عَنْهُ. قالتْ: خَرَجَ يَبْتَغِي لَنَا. قَالَ: كَيْفَ أَنْتُم؟ وسألها عن عيشهم وهيئتهم. فقالت: نحنُ بخيرٍ وسعةٍ وأثنَتْ على الله تعالى، فقال: ما طَعَامُكم؟ قالتْ: اللَّحْمُ. قال: فما شرابُكم؟ قال: الماءُ. قال: اللَّهُمَّ باركْ لهم في اللَّحْمِ والماءِ. قال النبيُّ ﷺ: "ولَمْ يَكُنْ لَـهُمْ يَوْمَئِذٍ حَبٌّ وَلَوْ كَانَ لَـهُمْ دعا لهم فيه" قال: فَهُمَا لا يَخْلُو عليهما أحدٌ بِغَيْرِ مَكَّة إلا لم يُوافِقَاهُ.

وفي روايةٍ فجاءَ فَقَالَ: أينَ إسماعيلُ؟ فقالت: امرأَتُهُ: ذهب بصيدٍ، فقالتْ امرأتُهُ: ألا تنزِلُ، فتطعم وتشربَ؟ قال: وما طعامكم وما شرابُكُمْ؟ قالتْ: طعامُنَا اللحْمُ، وشرابُنَا الماءُ. قال: اللَّهُمَّ بَارِكْ لهم في طعامهم وشرابهم – قَالَ، فَقَالَ أَبو الْقَاسِمِ ﷺ: "بَرَكةُ دعوةِ إبراهيم ﷺ". قال:

فإذا جاء زوجُكِ فأقْرئي عليه السلام ومُريه يُثَبِّتُ عتبة بابه.

فلمَّا جاء إِسْمَاعِيلُ، قَال: هَلْ أَتَاكُمْ مِنْ أَحَدٍ؟ قالتْ: نَعَمْ، أتانا شيخٌ حَسَنُ الهيئة، وأثنتْ عليه، فسألني عنك، فأخبرتُهُ، فسألني كيف عيشُنَا، فأخبرتُهُ أنا بخيرٍ. قال: فأوصاكِ بشيء؟ قالتْ: نعم، يقرأُ عليك السلام، ويأمُرُكَ أن تُثَبِّتَ عتبةَ بابِكَ. قال: ذاك أبي، وأنتِ العتبةُ أمَرَني أن أُمسِكَكِ.

ثُمَّ لَبِثَ عَنْهُمْ مَا شَاءَ اللهُ، ثُمَّ جاءَ بَعْدَ ذَلِكَ وَإِسْمَاعيلُ يَبْرِي نَبلاً له تحت دوحةٍ قريبًا من زمزمَ، فَلَمَّ رآهُ، قال إليه، فصنع كما يصنع الوالدُ بالولدِ، والوالدُ بالوالدِ. قال: يا إسماعيل إنَّ الله أمَرَني بأمرٍ، قال: فاصنعْ ما أمرك رَبُّك؟ قال: وتُعينُني، قال: وأُعينُكَ، قال: فإنَّ الله أمرني أن أبني بيتًا ههنا، وأشار إلى أكمةٍ مرتفعة على ما حولها. فعند ذلك رَفَعَ الْقَوَاعِدَ مِنَ البَيْتِ، فَجَعَلَ إِسْمَاعِيْلُ يَأتي بالحجارة، وإبراهيمُ يبني حتى إذا ارْتَفَعَ البناءُ، جاءَ بهذا الحجر فوضعهُ له فقام عليه، وهو يبني وإسماعيلُ يُناولُهُ الحجارة وهُمَا يقولان: ربَّنَا تقبل منا إنك أنت السميع العليم.

وفي رواية: إنَّ إبراهيم خرج بإسماعيل وأُمِّ إسماعيل، معهم شَنَّةٌ فيها ماء فجعلت أمَّ إسماعيل تَشْرَب مِن الشنة فيدر لبنها على صبيها حتى قدم مكَّة، فوضعهَا تحتَ دَوْحَةٍ، ثُمَّ رَجَعَ إبراهيمُ إلى أهلِهِ، فاتَّبعَتْهُ أُمُّ إسماعيل حَتَّى لَمَّا بلغُوا كداءَ، نادَتْهُ من ورائه: يا إبراهيمُ إلى من تَتْرُكُنَا؟ قال: إلى الله، قالتْ: رَضِيتُ بالله.

فَرَجَعَتْ، وَجَعَلَتْ تشربُ من الشَنَّةِ، ويدرُّ لَبَنُها على صبيِّها حتى لما

فني الماءُ، قالت: لو ذهبتُ، فنظرتُ لعليِّ أحسُّ أحدًا، قال: فَذَهَبَتْ فَصَعِدَت الصَّفا، فنَظَرَتْ ونَظَرَتْ هل تُحِسُّ أحدًا، فلم تُحِسَّ أحدًا، فلَمَّا بلغتِ الوادي وسعتْ، وأتتِ المروةَ، وفعلتْ ذلك أشواطًا، ثُمَّ قالتْ: لو ذهبتُ فَنَظَرتُ ما فعلَ الصَّبيُّ، فَذَهَبَتْ ونظرتْ، فإذا هو على حاله كأَنَّهُ ينشغُ للموت، فلَمْ تُقِرَّهَا نفسُها: فقالت: لو ذهبتُ، فنظرتُ لعلِّي أُحِسُّ أحدًا، فذهبتْ فصعدتْ الصَّفا، فنظرتْ وَنَظَرَتْ، فلم تُحِسَّ أحدًا حتَّى أتَمَّتْ سبعًا، ثم قالت: لَوْ ذَهَبْتُ، فنظرتُ ما فعل، فإذا هي بصوتٍ، فقالت: أغثْ إن كان عندك خيرٌ، فإذا جبريلُ ﷺ فقال بعقبه هكذا، وغمزَ بعقبِه على الأرض، فانْبَثَقَ الماءُ، فدهشتْ أُمُّ إسماعيلَ، فجعلتْ تحفُنُ[1]. وذكر الحديث بطوله.

رواه البخاريُّ بهذه الروايات كلها.

"الدَّوحَةُ" الشَّجَرةُ الكبيرةُ. قوله: "قَفَّى" أي: ولَّى. "والجَريُّ": الرسول. و"ألفَى" معناه: قوله: وجد. "ينشغُ" أي: يَشْهقُ.

١٨٦٨ - وعن سعيدِ بن زيدٍ رضي الله عنه قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: "الكَمْأَةُ مِنَ المَنِّ، وماؤُهَا شِفَاءٌ للعينِ[2]" متفقٌ عليه.

---

(١) رواه البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴾، رقم(٣١١٣).

(٢) رواه البخاري: كتاب تفسير القرآن، باب قوله تعالى: ﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ﴾ ، رقم(٤١١٨)، ومسلم: كتاب الأشربة، باب فضل الكمأة ومداواة

الشـــرح

قال المؤلف – رحمه الله تعالى – فيما نقله عن سعيد بن زيد رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: "الكمأة من المنّ، وماؤها شفاء للعين": الكمأة: هي التي تعرف عند الناس بالفقع تنبت من كثرة الأمطار ولا سيما الأمطار الموسمية. وهي معروفة، لذيذة الطعم، تنبت على الأرض وإذا كبرت يأخذها الناس بدون كلفة وبدون مشقة، ولهذا قال النبي ﷺ إنها من المن أي مما مَنَّ الله به على عباده بيسر وسهولة – "وماؤها شفاء للعين" يعني أن الماء الذي يستخرج منها إذا مرضت العين بسبب الرطوبة فإن هذه تشفيه بإذن الله – عزَّ وجلَّ –، لأن ماءها ناشف وإن كان سائلاً ينشف العين ويزيل عنها الرطوبات، ولهذا قال: "ماؤها شفاء للعين" يعني ليس من كل مرض بل من الأمراض التي أسبابها الرطوبة فإنها تشفي بإذن الله – عزَّ وجلَّ – ولكن كيف يستخرج ماؤها؟ قيل: إنها تصهر على النار ثم تعصر، لأنها إذا صهرت على النار لانت ثم تعصر، وقيل: إنها تقطع قطعًا صغيرة ثم تعصر عصرًا شديدًا فيخرج منها الماء ولكنه قليل. والله الموفق.

* * *

العين بها، رقم(٣٨١٦).